

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبِّ الْكَوَاكِبِ السَّمَاءِ وَالْأَنْجَارِ

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ مُلْكٍ عَظِيمٍ ﴾

الطبعة الأولى

الكتاب السادس من سلسلة الكتب الخالدة

﴿ تَمَّهُ النَّسْخَهُ قَرْبَتُ صَاغَهُ ﴾

بيان سمات شارع مات المحقق بهر (١٢١٩) 
لصاحبها اسماعيل حافظ

على ما في القاموس . وفي الكشاف للعلامة الزمخنثري في تفسير قوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » استعظام خلقه لفروط احتماله المضادة من قومه وحسن مخالفته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي أمره الله تعالى به في قوله « خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين » وعن عائشة رضي الله عنها ان سعيد ابن هشام سألهما عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألسنت نقرأ القرآن « قد أفلح المؤمنون »
اه وعرف ابن مسكونيه الخلق بعاصمه

الخلق حال للنفس داعية لها الى افعالها من غير فكر ولا رؤية . وهذه الحال تنقسم الى قسمين : منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالانسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويريد من أقل سبب وكالانسان الذي يحب من أيسره شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه وكالذى يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه وكالذى يغتم ويحزن من أيسره شيء يناله * ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب وربما كان مبدئه بالرواية والفكير ثم

يستمر عليه أولاً فاؤلاً حتى يصير ملائكة وخلقاً . ولهذا اختلف القدماء في الخلق فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة وقال بعضهم قد يكون للنفس الناطقة فيه حظ . ثم اختلف الناس أيضاً اختلافاً ثانياً فقال بعضهم من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه . وقال آخرون ليس شيء من الأخلاق طبيعياً للإنسان ولا يقول انه غير طبيعي . وذلك انا مطبوعون على قبول الخلق بل ننتقل بالتأديب والمواعظ أما سريعاً أو بطيئاً . وهذا الرأي الأخير هو الذي نختاره لأننا نشاهد عياناً ولأن الرأي الأول يؤدي الى إبطال قوة التمييز والعقل والى رفض السياسات كلها وترك الناس همجاً مهملين والى ترك الاحداث والصياغ على ما يتفق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جداً

وأما الرواقيون فظنوا أن الناس كلهم يخلقون أخيراً بالطبع ثم بعد ذلك يصيرون أشراراً بمحالسة أهل الشر والميل إلى الشهوات الودية التي لا تقنع بالتأديب فينكم فيها ثم يتوصل إليها من كل وجه ولا يفكر في الحسن منها والقبح *

وَقَوْمٌ آخَرُونَ كَانُوا قَبْلَ هُولَاءِ ظَنُوا أَنَّ النَّاسَ خَلَقُوا مِنَ الطِينَةِ السُّفْلِيِّ وَهِيَ كَدُرُّ الْعَالَمِ فَهُمْ لَا جُلَّ ذَلِكَ أَشْرَارُ بِالْطَّبِيعِ .
 وَإِنَّمَا يَصِيرُونَ أَخْيَارًا بِالتَّأْدِيبِ وَالْتَّعْلِيمِ إِلَّا أَنَّ فِيهِمْ مِنْ هُوَ فِي
 غَايَةِ الشَّرِّ لَا يَصْلَحُهُ النَّادِيبُ وَفِيهِمْ مِنْ لَيْسَ فِي غَايَةِ الشَّرِّ
 فَيُمْكَنُ أَنْ يَنْتَهِي مِنَ الشَّرِّ إِلَى الْخَيْرِ بِالتَّأْدِيبِ مِنَ الصَّبَابِ ثُمَّ
 بِجَالِسَةِ الْأَخْيَارِ وَأَهْلِ الْفَضْلِ * وَأَمَّا جَالِينُوسُ فَأَنَّهُ رَأَى أَنَّ
 النَّاسَ فِيهِمْ مِنْ هُوَ خَيْرٌ بِالْطَّبِيعِ وَفِيهِمْ مِنْ هُوَ شَرٌّ بِالْطَّبِيعِ
 وَفِيهِمْ مِنْ هُوَ مَوْتَسِطٌ بَيْنَ هَذِينِ . ثُمَّ أَفْسَدَ الْمَذْهَبَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ
 الَّذِينَ ذَكَرَنَا هُمْ * أَمَّا الْأُولُونَ فَبَأْنَ قَالَ أَنَّ كَلَّ النَّاسِ
 أَخْيَارًا بِالْطَّبِيعِ وَإِنَّمَا يَنْتَهِيُونَ إِلَى الشَّرِّ بِالْمَعَابِ فِي الْحُضْرَوْرَةِ أَمَّا أَنَّ
 يَكُونُ تَعْلِمَهُمُ الشُّرُورُ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَإِنَّمَا مِنْ غَيْرِهِمْ . فَإِنَّهُمْ تَعْلَمُوا
 مِنْ غَيْرِهِمْ فَإِنَّ الْمُعْلَمِيْنَ الَّذِينَ عَلِمُوا هُمُ الشَّرُّ أَشْرَارُ بِالْطَّبِيعِ . فَلَيْسَ
 النَّاسُ إِذَا كَلَمُوا أَخْيَارًا بِالْطَّبِيعِ . وَإِنَّ كَانُوا تَعْلَمُوهُ مِنْ أَنفُسِهِمْ
 فَإِنَّمَا أَنَّ يَكُونُ فِيهِمْ قُوَّةٌ يَشْتَاقُونَ إِلَيْهَا إِلَى الشَّرِّ فَقَطُّ فَهُمْ إِذَا
 أَشْرَارُ بِالْطَّبِيعِ وَإِنَّمَا أَنَّ يَكُونُ فِيهِمْ مَعَ هَذِهِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَشْتَاقُ
 إِلَى الشَّرِّ قُوَّةً أُخْرَى تَشْتَاقُ إِلَى الْخَيْرِ إِلَّا أَنَّ الْقُوَّةَ الَّتِي تَشْتَاقُ

(٦)

إلى الشر غالباً ظاهرة لتي تشترق إلى الخير وعلى هذا أيضاً
يكونون أشراراً بالطبع

وأما الرأى الثاني فانه أفسد بمثل هذه الحجة . وذلك
انه قال ان كان الناس أشرار بالطبع فاما أن يكونوا تعلموا الخير
من غيرهم أو من أنفسهم ونعيد الكلام الاول بعينه * ولما
أفسد هذين المذهبين صحيح رأى نفسه من الامور البينة
الظاهرة . وذلك انه ظاهر جداً أن من الناس من هو خير
بالطبع وهو قليلون وليس ينتقل هؤلاء إلى الشر ومنهم من هو
شريف بالطبع وهو كثيرون وليس ينتقل هؤلاء إلى الخير . ومنهم
من هو متوسط بين هذين وهو لا يقدر على انتقاله بمصاحبة
الأخيار ومواضعهم إلى الخير وقد ينتقلون بمقاربة أهل الشر
واغواهم إلى الشر

وأما ارسطو طاليس فقد بين في كتاب الأخلاق وفي
كتاب المقولات أيضاً أن الشرير قد ينتقل بالتأديب إلى الخير .
ولكن ليس على الاطلاق لأنه يرى ان تكرير المواقف
والتأديب وأخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة لا بد أن

بـؤـتو ضـرـوبـ النـاـئـيرـ فـي ضـرـوبـ النـاـسـ فـهـمـ مـنـ يـقـبـلـ التـأـدـيبـ
 وـيـتـحـركـ إـلـىـ الفـضـيـلـةـ بـسـرـعـةـ وـمـنـهـمـ مـنـ يـقـبـلـهـ وـيـتـحـركـ إـلـىـ الفـضـيـلـةـ
 بـاـبـطـاءـ . وـنـخـنـ نـوـافـ مـنـ ذـلـكـ قـيـاسـاـ وـهـوـ هـذـاـ : كـلـ خـلـقـ
 يـمـكـنـ تـغـيـرـهـ . وـلـاشـئـ مـاـ يـمـكـنـ تـغـيـرـهـ هوـ بـالـطـبـعـ . فـاـذـاـ الـاخـلـقـ
 وـلـاـ وـاحـدـ مـنـهـ بـالـطـبـعـ . وـالـمـقـدـمـتـانـ صـحـيـحـتـانـ وـالـقـيـاسـ مـنـتـجـ فـيـ
 الضـرـبـ الثـانـيـ مـنـ الشـكـلـ الـأـوـلـ . اـمـاـ تـصـحـيـحـ المـقـدـمـةـ الـأـوـلـيـ
 وـهـيـ انـ كـلـ خـلـقـ يـمـكـنـ تـغـيـرـهـ فـقـدـ تـكـلـمـنـاـ عـلـيـهـ وـأـوـضـحـنـاهـ وـهـوـ
 بـيـنـ مـنـ الـعـيـانـ وـمـاـ اـسـتـدـلـلـنـاـ بـهـ مـنـ وـجـوـبـ التـادـيـبـ وـنـفـعـهـ
 وـتـأـثـيرـهـ فـيـ الـاـحـدـاتـ وـالـصـيـانـ وـمـنـ الـشـرـعـ الـصـادـقـةـ الـىـ هـيـ
 سـيـاسـةـ اللهـ الـحـقـةـ * وـأـمـاـ تـصـحـيـحـ المـقـدـمـةـ الثـانـيـةـ وـهـيـ انـ لـاشـئـ
 مـاـ يـمـكـنـ تـغـيـرـهـ هوـ بـالـطـبـعـ فـهـوـ ظـاهـرـ أـيـضاـ . وـذـلـكـ اـنـ اـلـازـرـومـ
 تـغـيـرـ شـئـ مـاـهـوـ بـالـطـبـعـ اـبـداـ . فـاـنـ اـىـ اـحـدـلـاـ يـرـوـمـ اـنـ يـغـيرـ حـرـكـةـ
 النـارـ الـتـىـ فـوـقـ بـاـنـ يـعـودـهـ حـرـكـةـ إـلـىـ اـسـفـلـ وـلـاـ اـنـ يـعـودـ
 الحـجـرـ حـرـكـةـ اـمـلـوـ يـرـوـمـ بـذـلـكـ اـنـ يـغـيرـ حـرـكـةـ الطـبـيـعـةـ الـىـ الـىـ
 اـسـفـلـ . وـلـوـ رـاـمـهـ مـاـصـحـ لـهـ تـغـيـرـ شـئـ مـنـ هـذـاـ وـلـاـ مـاـبـجـرـيـ
 مـجـراـهـ اـعـنـ الـاـمـورـ الـتـىـ هـيـ بـالـطـبـعـ فـقـدـ صـحـتـ المـقـدـمـتـانـ وـصـحـ

التأليف في الشكل الاول وهو الضرب الثاني منه وصار برهاناً *
 فاما مراتب الناس في قبول هذه الآداب التي سميّناها خلما
 والمسارعة الى تعلمها والحرص عليها فانها كثيرة وهي تشاهد
 وتعالى فيهم وخاصة في الاطفال فان أخلاقهم تظهر فيهم منذ
 بدء نشأتهم ولا يترنّه بروية ولا فكر كما يفعله الرجل النائم الذي
 انتهى في نشوئه وكماله الى حيث يعرف من نفسه ما يستيقظ منه
 فيخفى به بضروب من الحيل والافعال المضادة لما في طبعه : وانت
 تتأنّل من اخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الادب وأنفورهم
 عنه او ما يظهر في بعضهم من الفحمة وفي بعضهم من الحياء وكذلك
 ماتري فيهم من الجود والبخل والرجمة والقسوة والحسد وضده
 ومن الاحوال المتفاوتة ما تعرف به مراتب الانسان في قبول
 الاخلاق الفاضلة وتعلم معه انهم ليسوا على درجة واحدة وان
 فيهم المتواني والممتنع والسهل السلس والقحط العسر والخير
 والشرير والمتوسطون بين هذه الاطراف في مراتب لا تتحصى
 كثرة و اذا اهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشأ كل
 انسان على سوم طبائعه وبقي عمره كله على الحال التي كان عليها

في الطفوالية وسبع ما وافقه في الطبع اما الغضب واما اللذة واما
 الزعارة واما الشره واما غير ذلك من الطياع المذمومة اه
 وعليه فان الخلق حال قائمة بالنفس تنبئ عنها اما الفضيلة
 اذا تهدبت النفس وترتب على القواعد الاساسية الدينية ولازالت
 الحدود التي حددتها الله سبحانه وتعالى للبشر على لسان رسle
 وأنبئاته من اتباع التعاليم الشرعية التي اذا صارت ملائكة للنفس
 متصلة سارت بصحابها في طرق السعادة وردعته عن الفواية
 واما الرذيلة اذا تركت النفس وشأنها مهملة سائنة لم ترد
 حياض التعاليم لترتشف الفضائل وتنتفخ المعرف فتسقى
 غلة الجهل وتطأ نيران الشهوات البدنية المفطورة عليها الا جسام
 الحيوانية . لأن الجسم لما كان مكوناً من العناصر المادية فهو
 مجبول على الميل إليها بحكم الطبيعة وهو لا يسترسل في هذا
 الميل ولا يناسب إلى الشهوات الا اذا ضعفت فيه قوي النفس
 العاقلة وقعدت به قوائم الروح المدركة . هناك يتغلب الجسم
 وبعده سلطانه وتقف أمامه النفس صاغرة مهانة يقلها كيف
 يشاء ويذهب بها في سبيل اللذات البدنية كل مذهب حيث

لا شعور بالملاذ الروحية . وأي صغار وهو ان للنفس اكثر من
أن ت عدم وظائفها في هذا العالم بفقدان قوة الارادة والشـعور
بان عليها واجبا تؤديه نحو السعادة وفرضنا نفوم به تجاه المجد
وانـي يكـون لها ذلك وـهـى عـارـية من ثـيـابـ العـرـفـانـ مـتـجـرـدـةـ منـ
وـشـاحـ الفـضـائـلـ تـبـصـرـ الذـلـ فـيـ سـبـيلـ الشـهـوـاتـ عـزـاـ وـنـجـارـاـ
وـالـضـيمـ فـيـ بـابـ الـاهـواـءـ مـجـداـ وـنـخـارـاـ

أـوـ كـيـفـ يـقـسـيـ لـهـاـ أـنـ شـهـضـ بـذـوـهـاـ وـتـسـتـمـ باـصـاحـبـهاـ
سـنـامـ المـجـدـ إـلاـ اـذـاـ شـعـرـتـ بـالـلـذـاتـ الرـوـحـيـةـ وـذـافتـ حـلـاوـتـهـاـ
وـأـشـرـقـتـ مـنـ سـماءـ الـعـارـفـ لـتـبـدـيـدـ تـلـكـ الـغـيـاـبـ غـيـاـبـ
الـاجـسـامـ الـكـثـيـفـةـ الـتـيـ هـوـتـ بـالـأـنـفـسـ فـيـ مـهـاـوىـ الـضـعـةـ
وـالـاحـتـقـارـ وـتـرـدـتـ بـهـافـ حـفـرـ العـارـ وـأـورـدـهـاـ مـوـارـدـ الشـنـارـ
حـيـثـ لـأـعـظـةـ وـلـأـعـتـبـارـ .ـ وـهـذـهـ هـيـ النـفـسـ الـبـهـيـمـيـةـ الـتـيـ لـيـسـ
لـهـاـ أـقـلـ سـيـطـرـةـ عـلـىـ الـجـسـمـ فـلـاـ تـأـثـرـ بـالـأـلـمـ إـلـاـ كـمـاـ تـأـثـرـ الـبـهـيـمـةـ
بـعـاـ يـنـاـهـاـمـ ضـرـوبـ الـأـذـىـ .ـ تـأـثـرـ حـيـوـيـ اـفـتـضـتـهـ الطـبـيـعـةـ
وـالـنـفـسـ الـعـاقـلـةـ هـيـ الـتـيـ تـضـادـ الـجـسـامـ فـيـ جـمـيعـ أـفـعـالـهـاـ
وـخـواـصـهـاـ .ـ وـهـىـ سـرـ الـاهـىـ أـوـ دـعـهـ اللـهـ فـيـ الـإـنـسـانـ لـيـسـيـطـرـ

بـه على الكائنات في هذا العالم فيجب اذا أـن لا يضـاع ذلك السـر المـصـوـت وـأـن لا يـترك هـذا النـور الـربـانـي أـسـير الجـسـمـ الكـثـيفـ . (وقد شـبـهـ الحـكـماـ منـ أـهـلـ سـيـاسـةـ نـفـسـهـ لـعـاقـلـةـ بـرـجـلـ مـعـهـ يـاقـوـتـةـ حـرـاءـ شـرـيفـةـ لـاقـيـةـ لـهـاـ مـنـ الـذـهـبـ وـالـفـضـةـ جـلـلـةـ وـنـفـاسـةـ وـكـانـ بـيـنـ يـدـيـهـ نـارـ تـضـطـرـمـ فـرـمـاـهـاـ فـيـ حـبـاجـبـهاـ خـسـرـتـ خـسـرـ ضـرـوبـ مـنـافـعـهـ . وـقـدـ قـالـ أـفـلاـطـونـ أـنـ النـفـسـ الـعـاقـلـةـ هـىـ بـعـزـلـةـ الـذـهـبـ فـيـ الـلـيـنـ وـالـانـطـافـ وـأـمـاـ الـبـهـيـمـيـةـ فـهـىـ بـعـزـلـةـ الـحـدـيدـ فـيـ الـصـلـابـةـ وـالـامـتـنـاعـ)ـ . بـعـنـيـ أـنـ النـفـسـ النـاطـقـةـ قـابـلـةـ لـاـتـرـيـةـ وـالـتـهـذـيبـ وـأـنـ تـجـمـلـ صـالـحةـ لـلـاعـمـالـ النـافـعـةـ فـيـ سـعـادـةـ الدـارـينـ وـإـذـ كـانـتـ الـعـلـومـ وـالـمـعـارـفـ هـىـ مـنـ وـسـائـلـ التـهـذـيبـ وـمـقـتضـيـاتـ التـرـيـةـ فـيـاـ لـاـ جـدـالـ فـيـهـ أـنـ النـفـسـ لـاـ تـهـذـبـ بـمـجـرـدـ اـسـتـيعـابـهـاـ الـعـلـومـ فـقـطـ فـاـنـ الـعـلـمـ اـنـماـ يـنـقـضـ ضـدهـ وـهـوـ الـجـهـلـ وـالـعـلـمـ فـضـيـلـةـ نـاقـصـةـ اـذـاـ لمـ يـقـترـنـ بـالـعـمـلـ . وـكـاـ اـنـهـ يـنـقـضـ الـجـهـلـ كـذـلـكـ الـعـمـلـ يـنـقـضـ الـكـسلـ وـلـاـ يـدـعـ الـانـفـسـ تـحـومـ حـولـ الـمـلاـهـيـ وـالـشـهـوـاتـ الـبـدـنـيـةـ لـاـشـنـفـالـهـاـ بـهـ عـمـاـ عـدـاهـ مـنـ الـبـطـالـةـ وـالـمـيلـ إـلـىـ الـرـاحـةـ وـمـتـىـ أـدـرـكـتـ النـفـوسـ لـذـةـ الـعـمـلـ وـالـتـعبـ الـمـوـاـصـلـ

فـ سـيـل نـرـقـيـة الـحـالـة الـاجـتـمـاعـيـة اـحـتـفـرـت كـل شـهـوـة بـدـنـيـة وـعـظـمـت لـدـيـها لـلـذـاـيـد الرـوـحـيـة الـنـى لـاـيـشـارـكـها فـيـما مـشـارـكـ من نـحـو الـعـخـار وـالـمـحـمـدة وـالـشـكـرـان . وـكـاـن الشـخـص يـسـمـن مـن فـهـ كـذـلـك يـسـمـن الـاـنـسـان . مـن أـذـنـيـه عـنـد سـمـاعـه أـنـوـاعـ الـحـامـدـ وـالـثـنـاء وـالـتـجـيـد تـلـفـاء الـافـعـالـ الجـيـلـهـ وـالـاعـمـالـ الجـيـلـهـ . وـالـنـفـسـ الـاـنـسـانـيـهـ مـيـاهـةـ إـلـى حـبـ الـاحـنـامـ وـالـنـجـلـهـ وـلـكـنـ النـفـوسـ الـبـهـيـمـيـهـ تـطـلـبـ ذـلـكـ مـن طـرـيقـ المـادـيـاتـ لـاـمـنـ طـرـيقـ المـدارـكـ كـمـ يـطـلـبـ اـحـتـرامـ نـفـسـهـ لـأـجـلـ مـالـهـ الـذـيـ لـاـيـنـتـفـعـ بـهـ فـيـ فـعـلـ الخـيـرـاتـ وـاسـدـاءـ المـبـراتـ

وـمـاـزـالـنـاسـ فـدـيـاـ وـحـدـيـاـ بـعـظـمـونـ الرـجـالـ بـعـظـيمـ أـفـعـالـهـمـ وـيـجـلـونـهـمـ بـجـلـيلـ أـعـمـالـهـمـ (وـقـلـ اـعـمـلـواـ فـسـيرـىـ اللـهـ عـمـلـكـمـ وـرـسـولـهـ) وـقـالـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ (مـنـ أـسـرـعـ بـهـ عـمـلـهـ لـمـ يـبـطـيـ بـهـ حـسـبـهـ وـمـنـ أـبـطـأـ بـهـ عـمـلـهـ لـمـ يـسـرـعـ بـهـ نـسـبـهـ) . وـقـالـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ لـرـجـلـ . مـنـ سـيـدـ قـوـمـكـ قـالـ أـنـاـقـالـ كـذـبـتـ لـوـ كـنـتـ كـذـلـكـ لـمـ تـقـلـهـ . يـرـيدـ بـذـلـكـ أـنـ الـرـجـلـ يـدـعـىـ السـيـادـةـ بـغـيـرـ عـمـلـ لـاـسـوـدـدـ أـوـأـنـهـ مـنـأـنـ بـعـملـهـ وـفـيـلـ لـقـيـسـ بـنـ عـاصـمـ بـمـ

سودك قومك قال بكف الاذى وبدل الندى ونصرة المولى
 وسأل عبد الملك بن مروان روح بن ذنباغ عن مالك بن
 مسمع . فقال لو غضب مالك انقضب معه مائة الف سيف
 لا يسأله واحد منهم لم غضبت . فقال عبد الملك هذا والله
 السود . ومالك بن مسمع اتى ساد بحسب عشيرته له . فالسيد
 المحترم في قومه هو الذي يكشف عنهم الاذى ويرفع الالم الذي
 يعرض لهم تجاه مطالب الحياة ويسير بهم في طرق السعادة
 فيكتسب المجد من طريقه ويدخل المفاخر من أبوابها
 وأفضل الخلق من بني الورى رجل

تقضى علي يده للناس حاجات

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم

وعاش قوم وهم في الناس أموات
 والفضل هو الذي يأتي الفضيلة لذاتها لا لفرض مكافأة
 ولا مجازاة بل لمحض المروءة وابتلاء الإنسانية . ولذلك كان
 أعضاء الجمعيات الخيرية في العالم أعظم الناس قدرآً وأرفعهم
 بين الأئم ذكرآً ان صحت نوایاهم وحسنـت طواياهم وانهم

لا يريدون جزاء على أعمالهم نحو الانسابة . وكذلك العلماء
 الذين وقفوا حيالهم على خدمة النوع الانساني وترقية مداركه
 بنشر التعاليم والتآليف النافعة حتى استضاء العالم بنبراس هديهم
 وأشرق الأرض بنور ارشادهم وقد خلدهم التاريخ ذكر أحسنا
 لا يمحوه كر الدهور ولا من المصور اذلولاهن وماقاموا به من
 التآليف لظل العالم يخبط في غياهب الجهل ويتردى في مهاوى
 التوحش ومن نظر الى التآليف التي لا تعدد ولا تتحصى والذى خطتها
 آمال أولئك الأسلاف وأودعوا بطنها فراهن المعلوم ولا إلى العرفان
 علم أن أولئك ما كان يميل بهم أقل ميل إلى شهوة بدنية
 ولا تهزهم هزة حيوانية . سوى حفظ حياة قوم وهابلة استعنوا
 بها على نشر المعلوم والفضائل فكانوا منبع الحمد ومصدرا
 الفخار ومثال الكمال . ولقد كثرت في هذا الأيام شكوك
 العقلاء من تأخر المسلمين في مضمار العلوم والمعارف وانيرت
 أقلام الكتاب للمسابقة في هذا الميدان وهم يجاهدون الآن
 أي جهاد في مشارق الأرض ومقاربها على لسان الصحف
 السيارة وقامت مؤتمرات لهذا الغرض أوسعوا فيها مجال الجدال

والمناقشة في سبيل التربية الصحيحة والتهذيب القومي سعياً وراء ترقية الأفكار وتنقيف المقول وتنوير المدارك وكل يبدى رأياً ويختلف عن الآخر اختلافاً و الكل متافقون على أنه لا تربية إلا بالعلوم ولا تهذيب إلا بالمعرف . وأنني يكون ذلك وقد فقدت من ينتسب إلى رجال التأليف وقل عندنا من يقوم بنشر التعاليم الصحيحة المجردة عن السخافات التي أودت بالناس إلى مهاؤي الملائكة وأوردهم موارد المذلة والعار . أو كيف يحصل والعلماء في شغل بالماديات عن القيام بوظيفتهم من نشر التأليف النافعة الملائمة للاحوال المصرية القومية وفي سهو بالوظائف عن إرشاد الناس إلى امر معاشهم ومعادهم بالطرق الشرعية والأساليب المقومة للأخلاق فقد كثر نظر الناس إلى التهافت على الشهوات وجر ذلك إلى الوقع في سيء المعاملات وتمكنت المادات الضارة أي تمكن وما من سبيل إلى فلنجذورها إلا التربية

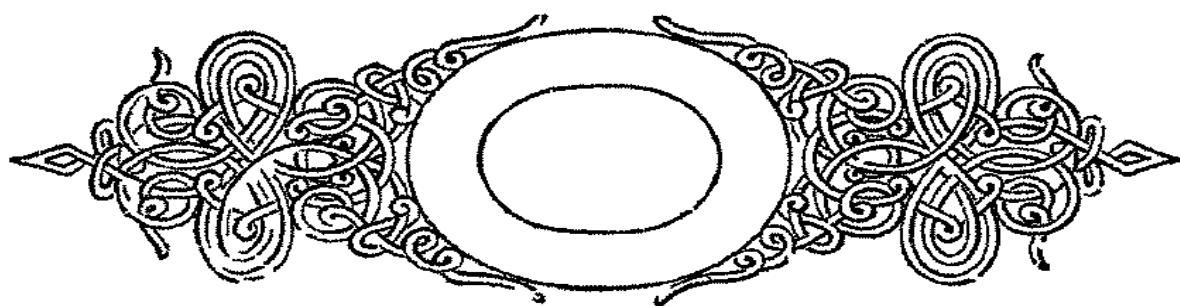
ومن يقوم بالتربيـة سـوى العـلمـاء كـما قـامـ عـلـمـاءـ المصـورـ السـابـقةـ بها فـرفـوا صـروحـ المـجدـ وـشـادـوا أـركـانـ الفـخرـ وـحلـوا بـسبـبـ

ذلك عند الملوك والامراء محل الاعظم . وعباس تحاول امة
الهروض من رقتها بغير أن نأخذ العلما وفادة الافكار بيدها
 ولو أن العلماء فاموا بنشر الترية بين الناس كما تقوم الصحف
 السيارة بها الآن يبتنا الصلاح الحال وتحقق الامال ولكلهم
 أهملوا وظيفتهم فاهملوا امة

وهذه رسالة وضعها الامام الشيرازي في علم الاخلاق
 صغيرة الحجم كثيرة النفع نألفها الإحداث ولا تألفها الشيوخ
 جعلني على نشرها ما هو مشاهد يبتنا من اعو جاج الاخلاق عن
 جادة التقويم وعدم المداية الى الصراط المستقيم عسى أن تحل
 من النفوس مخالفتكها والله المسؤول ان يوفقنا الى صالح
 الاعمال لخدمة الاوطان في ظل و لانا أمير المؤمنين السلطان
 عبد الحميد الثاني حرس الله ملكه وايد نصره وادم و لانا
 الحديوى المعظم (عباس ملسى الثاني) كعبه الامال على
 مر الايام والايصال (عبد العليم صالح)
 (الحاتى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ



(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

ان أولى ما نطق به الانسان * وثبتت وجوبه بسواطع البرهان * الحمد لمن يستحق الحمد لدوام المجد والعلى * والشكر لمن يستوجب الشكر ل تمام النعم والآلاء * الذي ظهرت عجائب مصنوعاته * وبهرت غرائب مبدعاته * وأوجد الخلائق بكمال قدرته * ودل ببدائع صنعته على لطائف حكمته * وفضل الانسان على البرية بالعقل الراجح * والمعلم الصالح * حتى تبصر نتائج الخزم * وتتوتر مناهج العزم * ووقفة للترقى في مدارج الكمال * والتخلى بصوائح الاعمال * حتى يستخىء بنور النجاح * ويستقى بظل الفلاح * نحمدك حمدًا يقتضي تضاعف الحسنى * ونشكرك شكرًا يستدعي تراصف النعمى * ونصلى ونسألك على رسوله المصطفى من الابرار * المحظى من الاخيار * ذي الاخلاق العظيمة * والأعراق الكريمة * محمد وآلـهـ خيار الورى * ومنار الهدى * صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ﴿ أَمَا بَعْدَ ﴾ فات أشرف العلوم وأعلاها * وأجل المعارف وأولاها *

ما يكون ذريعة للانسان * الى السعادة الابدية * والبهجة الحقيقية * والدرجة القصوى للانسان في السعادة والرتبة العليا له في اللذة والبهجة في الدنيا والآخرة ان يفوز بعمرفة واجب الوجود * وما صدر عنه * على الترتيب الموجود * ولا يمكن وصوله الى ذلك * الا بتزكية الباطن عن الاوصاف المذمومة وتحلية بالاخلاق المحمودة

والعلم الكافل بيان قواعد التزكية والتحلية هو علم تهذيب الاخلاق المسمى بالطب الروحاني وهو العلم المهادى الى امثل الطرق وأقوم السبل والمبين لما هو المقصود من إزال الكتب وارسال الرسل وهو الذريعة الى اقتباس الفضائل واكتسابها والوسيلة لاستجاع كالات النفس واستيعابها . وهذا مختصر في هذا العلم كاف في ضبط أصوله وقواعده واف بربط فروعه وأوبده . جمعت فيه عيون أقوال الحكماء في مكارم الاخلاق وغرضها وشذور امثال الفضلاء في محاسن الآداب ودررها وخدمت بتأليفه خزانة كتب الخدوم الاعظم مالك رقاب الامم مولى وزراء الشرف والصين خلاصة سلطان

السلاطين منقذ الخلق من المهالك صاحب ديوان المهالك غياث
الورى غيث الندى علم المهدى محمد الحمود في الملا الاعلى
وزير هو الاولى من الناس بالعلى

فأولاه رب المرش بالطول ما أولى
لازال منصور الالوية والاعلام مقهر العدی بالابادة
والارغام . وهو وان كان أشاه الله في أصل الفطرة من صواب
الرأى ما يعنيه عن استمداد ولا يفتقر في اقتناء مكارم الاخلاق
إلى تكميل استمداد وأيده تعالي بالصفات القدسية والكمالات
الانسية والقوى الفلكية والملكات الملکية يرى مصالح الملك
في صرأت رأيه بعين الالهام والتوفيق كأنه ينظر إلى الغيب
من وراء سجف رقيق لكن تكاثر الانوار على المهمات أنفع
ولظلام الشبه أدفع فان مد الوادى من سيل البلغات وفيض
الانهار من توالي القطرات . فالمسئول من الله تعالى أن يشرق
هذا المختصر في عليا حضرته بشرف الوصول وان يوقعه
موقع القبول وأن يطيل في العز الدائم بقاء ويديم على أهل الفضل
ظلله ونعماه وهو المستعان وعليه التكلان

ورتبت هذا الكتاب مختصرًا على ثلاثة أقسام كل قسم منها على فصلين

- (القسم الأول) في الأصول الكلية لعلم الأخلاق
- (الفصل الأول منه) في مقدماته ومبادئه
- (الفصل الثاني) في مطالبه ومقاصده
- (القسم الثاني) في الفروع الجزئية لمحاسن الأخلاق
- (الفصل الأول منه) في نصائح الحكماء والأداب النافعة في جميع الأبواب
- (الفصل الثاني) فيما يجري بجري الأمثال السائرة من الكلمات النادرة
- (القسم الثالث) فيما يختص بمحاسن أخلاق الملوك وأداب أتباعهم من الخدم والحواشي
- (الفصل الأول منه) في مكارم أخلاق الملوك خاصة
- (الفصل الثاني) في آداب الخدم وأسائل الله تعالى توفيق السداد انه رءوف بالعباد وهو حسي ونعم الوكيل
- (القسم الأول) في الأصول الكلية لعلم الأخلاق

﴿ الفصل الأول منه في مقدماته ومبادئيه ﴾

اعلم أن الإنسان له قوى ثلاثة أحدها القوة العاقلة المدركة للكليات بداية وتسى نفساً ملكية . الثانية القوة الفضبية الباعثة لدفع المؤذيات وتسى نفساً سبعية . الثالثة القوة الشهوانية الطالبة للمشهيات الحسية التي بها بها ، الشخص والنوع وتسى نفساً بحيمية وهذه النفوس الثلاث متداخلة متعالية والإنسان فيها تصرف بالاختيار فان شاء نزل على درجة النفس السبعية مطيناً لها فصار سبعاً من السابع وان شاء نزل على منزلة النفس البحيمية مطيناً لها فصار بحيمه من البهائم ونـ شـاء نـزلـ عـلـىـ مرـتبـةـ النـفـسـ الـمـلـكـيـةـ مستـعـليـاـ عـلـىـ النـفـسـيـنـ الـآخـرـيـنـ آـمـرـ لـهـماـ مـتـصـرـفاـ فـيـهـماـ عـلـىـ وـقـعـ العـقـلـ وـالـشـرـعـ حـتـىـ تـجـرـدـ بـجـوـهـرـهاـ الرـوـحـانـيـ

عـمـاـ يـشـفـيـهاـ مـنـ الـعـلـاقـ الـجـسـمـانـيـ إـلـىـ مـبـادـيـهاـ الـقـدـسـيـةـ فـاـنـهـاـ اـنـ استـعـلـتـ اـحـدـىـ النـفـسـيـنـ الـآخـرـيـنـ عـلـيـهـاـ أـكـدـتـ عـلـاقـهـاـ

مـعـ الـبـدـنـ وـجـدـبـهـاـ إـلـىـ الـعـالـمـ الـجـسـمـانـيـ فـاـذـاـ فـارـقـتـ الـبـدـنـ تـأـلـمـتـ

غاية التألم لزوال البدت وما يتعلّق به من اللذات الحسية والمشتهيات البدنية ولما استقر في النفس من الهيّات البدنية والصفات السوجة المؤلمة لها وهيّة استيلاء النفس الناطقة على النفسيين الآخرين تسعى فضيلة وهيّة استيلائهم على الناطقة تسعى رذيلة . و اذا ثبتت هذه الهيّة في النفس واستقرت تسعى ملائكة . و اذا عرضت ثم زالت بسرعة تسعى حالا . فالخلق ملائكة يصدر عنها الافعال الاختيارية بلا رؤية ثم الافعال الصادرة عنها ان كانت جميلة محمودة عقلا و شرعا فالخلق حسن والا فسيء . و الفضيلة و سط بين طرف الافراط والتغريط وكل منها رذيلة كما قيل * كلا طرف في قصد ^(١) الامور ذميم . وأصول الفضائل أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة . وأصول الرذائل سبعة الجريبة والبله و هما طرفا العفة . السابع الجور وهو مقابل المدل لأن طرف العدالة

« ١ »قصد هنا الوسط بين الافراط والتغريط من قولهم قصد في الامر قصد أي توسط اه

جور^(١) وأما فروع الفضائل ولوازمها فلوازم **الحكمة** الاب ومقاييس الرأي وجودة الذهن وسرعة الفهم وما يشبهها ولوازم العفة الحنية والحياء والخيرية والسخاء وما يشبهها . ولوازم العدالة هي جملة هذه الاوازم لأنها فضيلة تحصل من تركب هذه الفضائل المزروعة لهذه الاوازم فلوازمها ما يلزمها . وأما لوازم الرذائل فهى مقابلات هذه فلوازم الجربزة الدهاء والشيطنة وما يشبهها ولوازم البخل الغباء والحق وما يشبهه ولوازم التهور التكبر والترفع والصلف^(٢) والقساوة وما يشبههما ولوازم الشره الوقاحة والشرارة والتبذير ولوازم الجمود التجاذب والبخل

(١) قوله لأن طرف العدالة ألح بيان ذلك أن العدل هو أجزاء الأحكام الشرعية أو القانونية التي قتها أولوا الدراسة على حسب ما يلازم الحال والزمان على الأفراد بالمساواة فلو فرض أن القاضى بين اثنين تجاوز فى الحكم الحد المقتن كان جائراً على المحكوم عليه وادعى يصل إلى الحد المقتن كان جائراً على المحكوم له فتباين حينئذ أن الحد الوسط بين هذين الطرفين هو العدل وهو اجراء الحكم على وفق القانون اه

(٢) الصلف هو مجاوزة قدر الظرف اه

وأمثالها ولو الزم الجود هي لوازم هذه الرذائل كلها . وأما حدود هذه الفضائل والرذائل وتعريفاتها فابن الجملة صناعة نظرية بها يكتسب الإنسان معرفة الموجدات على ما هي عليه على حسب الطاقة البشرية والشجاعة مطاوعة القوة الفضدية للقوة العاقلة في الاقدام والاحجام على مقتضى الرأى الصحيح . والمعفة قلة شوق القوة الشهوية إلى الآلات البدنية بحيث يسهل عليها الصبر مما يقدم عقلاً وشرعاً . والعدالة هيئه تحصل من اجتماع هذه الفضائل في النفس . وأما حدود لوازم الفضائل فاللب فضيلة بها يكون الإنسان مستقيماً الرأى في الأمور قادرًا على استنباط ما هو الأفضل والأصلح في الحيرات العظيمة والآيات الشريقية . وثبات الرأى فضيلة بها يقدر الإنسان على أن يؤهل نفسه للأمور العظام مع استحقاره لها . والحلم فضيلة بها يكون الإنسان غير منفعل من المنضبات انفعالاً يحمله على سرعة الانتقام . والكرم فضيلة يلتذر بها الإنسان لما يبذل من الخير . والرحمة فضيلة بها يتلمس الإنسان من شر ينال الغير . والحياء فضيلة بها يحترز الإنسان عن الأمور المذمومة . والحرمة فضيلة بها يكون الإنسان ضعيف العلاقة مع

الأشياء الجسمانية حتى يقل شغفه بالاصابة وأسفه على الفوات والخيرية فضيلة بها يلتذ الانسان ويتأمل بخير وشر ينال التغير كما يلتذو يتأمل نفسه . والساخاء فضيلة بها يكون الانسان فما لا للجميل بالمال فيحصل على ما يجب وفي الوقت الذي يجب وبالقدر الذي يجب . وأما حدود أصول الرذائل فالجربزة هي استقصاء الروية في استنباط ماتتصور أنه خير وليس بخير . والبله هو قصور الروية عن المقدار الواجب في صالح المعاش والمعاد . والتهور هو أن تكون مطاوعة النفس في الأقدام أشد من مطاوعتها في الاحجام بحيث يقدم على مالا يجوز الأقدام عليه شرعاً عقلاً . والجبن هو أن يكون بحيث لا يقدم على ما يجب أن يقدم عليه . والشهوة شدة الشوق والشبق إلى اللذات الجسمانية . والجمود عدم الشوق إلى ما يجب طلبه عقلاً وشرعًا . والجور هو الميل عن الأخلاق الفاضلة وإهمها لها كما أن العدل هو الاتصاف بها

وأما حدود لوازم الرذائل فهي مقابلات حدود لوازم الفضائل فلا نطول الكتاب بتعريفاتها لأنها تعرف بأدنى تأمل وأما كيفية تحصيل الأخلاق المحمودة للنفس فذهب ارسطو

ومن تابعه الى ان ذلك يدوم بدوام استعمال الاوساط التي هي الفضائل المحسورة بين الاطراف . واعلم ان المقصود من علم الاخلاق هو علاجُ الاخلاق الفاسدة وحفظ الاخلاق الفاضلة كما أن المقصود من علم الطب الجساني هو علاج المرض وحفظ الصحة ولذلك سمي علم الاخلاق طبًا روحانياً لانه مضاهر للطب الجساني فكما أن للبدن صحة ومرضًا كذلك للنفس صحة ومرض . وصحتها بحصول الفضائل ومرضها بوجود الرذائل فان رذائل الاخلاق تمرض النفس وتشفقها كما ان رذائل الاخلاط تمرض النفس وترديها وكما أن للطب قوانين يعرف بها حفظ الصحة وازالة المرض فكذا لهذا العلم قوانين يعرف بها تحصيل الفضائل وازالة الرذائل . وكمانه يجب أن يكون للابدان أطباء حتى تكون صحيحة معتدلة المزاج فكذا يجب أن يكون للنفوس أطباء حتى تكون فاضلة كاملة المذات . وأطباء النفوس هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما بسطوا من الشرائع الالهية المشتملة على طرق اصلاح النفوس المبنية لمصالح معاشرهم ومعادهم ومن تابعهم من الخلفاء الراشدين والولياء الكاملين

والحكماء المتألهين^(١) المقربين لتواعد علم الاخلاق . فاقول بعد تقديم هذه المقدمة ان قوانين طب الابدان في العلاج يفصل المرض والسبب والعرض والعلاج فيعرف المرض والسبب بالعرض ثم يماج بالقضاء ليزول السبب فيزول المرض فكذا يفصل قوانين طب النفوس الى المرض والسبب والعلاج تفصيلا كلّياً مفنياً عن التفصيل الجزئي في التعليم . أما المرض فهو شدة ميل النفس الى البدن ومحبتها له وهذا الميل والحبة هو أصل سائر الامراض النفاسية لانه يلزم من ذلك الميل والحبة اراده الموافقات للبدن وهي الالذات الحسية ويلزم من هذه الارادة اراده اسباب الموافقات وهي الاحوال ويلزم من اراده الاحوال اراده حافظات الاحوال وهي الرئاسات ثم يلزم من هذه الارادات ارادات كثيرة مستندة الى الارادات الاول وهي الرذائل التي هي امراض النفس . ثمان هذه الارادات اذا اشئت صارت اشوافا وملكات فتحدث الشروء وهي شدة اراده الموافق للبدن وهو المذبحى كالمأكول والمشروب

(١) أي المتبعدين ، مأخذ من تأله يعني تعبد اه

والمنكوح والمبوس والمرکوب وأمثال ذلك من الالذات البدنية ويحدث الغضب وهو شدة اراده دفع المخالف عن البدن وهو المؤلم والمؤذى كدفع الاعباء والذب عن الاصدقاء ولذة الانتقام والاستعلاء وأمثال ذلك . ويحدث البخل وهو امساك الخير عن الغير لاجل نفسه . ويحدث الحسد وهو اراده أن لا يكون الخير الا له وكذلك سائر الارادات التي هي امراض النفس . وأما السبب فهو الادراك والشعور بالارادات أولا ثم يلزم من الشعور حكم النفس بأنه خير مع أنه ليس بخير وهذا الحكم أما أن يلزم من تقليله وأما أن يلزم من رأى فاسد ثم اذا ثبت هذا الحكم في النفس صار اعتقاداً وأذا ثبت الاعتقاد لازم منه الخلق . وأذا تحرك الخلق لازم منه الانفعال ثم صدر عنه الافعال المذمومة كالحسد مثلاً فإنه يثبت في نفس الحاسد اعتقاد أن الخير لا يجوز أن يكون لغيره ويفترم بحصوله لغيره ثم اذا عرض سبب من الاسباب المحركة الى الفعل يحصل الانفعال في نفس الحاسد وهو الحاسدة لازم منه الفعل وهو التوجه نحو خير الغير وقصد دفعه عنه ومنعه بافعال مذمومة

عقلا وشرعًا فهذا هو تحقيق أسباب المرض . وأما العرض فهو العلامات الصادرة عن تلك الانفعالات من الأفعال المذكورة المذمومة كالسعي في صرف الخير عن الغير . وأما الانفعالات أيضاً أعراض خفيفة في النفس يعرفها أصحاب تلك الانفعالات وأما الأفعال فهي الأعراض الظاهرة الصادرة من النفس المناسبة لتلك الانفعالات فتكون هذه الأفعال دلائل على تلك الانفعالات وهي العلامات التي تعرف بها الأخلاق الفاسدة والملائكة المذمومة . وأما العلاج فهو باستعمال الأضداد لأن الضد يقع بالضد الآخر . وذالك إنما يكون بآيات الاحكام الازمة عن الرأي الصحيح في النفس بان ارادة البدن وتواتع البدن من الملائكة الحسية إنما هي أمراض للنفس مضره لها في الحال والمآل . أما في الحال فلأن كل واحد منها مؤلم لافت صاحبه يكون دائمًا في الهم والغم بسبب حصول الخير لغيره وبسبب صعوبة إزالته عنه وبسبب منازعة الخصوم والحساد ومنازعة الأعداء والأضداد . وأما في المال فلما تحقق تارة من الآتباء عليهم السلام بما أخبروا بما يلقى الإشارة وهم أصحاب هذه

الا ارض من العذاب الا يم كما قال تعالى «أمامن طنى و آخر
الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى» وتارة من الحكماء بما
برهنا عليه من الشقاء العظيم لنفس الاشرار والقجارد في المعاد
بعد مفارقة الابدان . ثم اذا تحقق بالرأي الصحيح ان هذه
الا ارض مضرة في الدارين يلزم ان يحترز الانسان العاقل
عنها وان لا يفعل ما يضره في الدنيا والآخرة بل يجب ان
يفصل ما ينفعه فيما وهو اقتداء الفضائل النافعة في الحال
والماآل لأنها مقابلة لتلك الرذائل في كل ما ذكرناه من
الاحوال كما قال الله تعالى «ان الابرار لفي نعيم وان القجرار
لفي جحيم» و اذا ثبتت هذه الاحكام الالازمة من الرأي الصائب
في النفس لزم منه ترك الارادة الاولى ولزم من ترك الارادة
الاولى ترك الارادات التابعة لها لانه اذا بطلت العلة بطل
المعلول . ثم اذا تحققت هذه الاحكام في النفس وجب ان
يخطرها بالبال ويقررها ويكررها في النفس دائمًا الى ان تصير
ملكات وكلما تكرر خطورها بالبال لاتزال تنفسخ تلك
الارادات الى ان تضعف وكلما افسخت تلك الارادات التي

هي الرذائل لازال تثبت مقابلاً لها بالتدريج وهي الفضائل
 هذا هو القانون الكلى لازالة امراض النفس . وأما حفظ
 صحتها وهو محافظة الفضائل فهو ان يتهدى النفس أبداً بمراعات
 الاخلاق الفاضلة والمحافظة عليها بالآراء الصحيحة ويحمل هذه
 الاراء الصحيحة في تعهد الاخلاق ملائكة دائمة ويجب أن
 لا يغفل عن صدمة اهمال النفسيين فانهما ان أهملتا عادتا الى
 طبيعتهما الخاصة بهما وأن لا يحركهما بالتحليل والتفكير والذكر
 في شيء من أسباب حركتهما وحيجانهما وإذا اتفق ان خطر
 شيء من أسباب هيجانهما بالبال فيجب أن يخطر نقاشهما
 بالبال حتى تكررها النفس وتتركها ومن الامور المعتبرة
 الواجبة في حفظ صحة النفس المواطبة على الوظائف العملية والعلمية
 فان اهمال الوظائف العملية يورث الكسل الموجب لاحرمان
 من السعادة الدنيوية والاخروية وابطال الوظائف العلمية
 يبطل استعداد النفس لقبول الانوار الالهية والمواهب القدسية
 ومنها المجالسة مع الابرار واستماع نصائحهم والمجانبة عن الفجار
 واستماع أحاديثهم . وقد قيل بليد نشا في العلماء أفضل من الآباء

نشأ في الجهلاء ومنها اصلاح الروح النفسي التي في الدماغ بحسب الكيفية والكمية والقوام بصناعة الطب الجساني فان له أثراً عظيماً في حفظ الفضائل المؤدية إلى السعادة العاجلة والآجلة واعلم أن دعوة العلماء إلى الفضائل الخلقية بالبراهين الدالة على وجوب التخلق بمحكارات الأخلاق وتعودها بمحاسنها ودعوة الأوساط إليها بالجذليات والاقناعيات الدالة على وجوب التخلق بها ودعوة النسوة والصبيان ومن في مراتبهم من لا يفهم الحججة والبرهان بمحكاة الافعال الجميلة وتحسينها لهم وذم الافعال الرديئة وتهجئها وتكرريها لهم وحكاية شمائل الاخيار من السلف الصالح وحسن سيرتهم ومحاسن عواقبهم وسوء خاتمة الاشرار وما يلحقهم من تبعات افعالهم في الدنيا والآخرة وقد جمع الله تعالى دعوة هذه الفرق الثلاث في قوله (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بما هي احسن) وفي الجملة السعادات الجميلة والأخلاق الحميدة انما تحصل بالاجتناب عن الافعال الرديئة وتكرار الافعال الجميلة والاعتياد بها وابتداها مرة بعد أخرى والمبالفة فيها والمحافظة

عليها حتى تستقيم النفس وتستوى كالخشب الموجة التي يراد تقويمها وتسويتها فأنها إنما تستوى إذا بنيت إلى ضد جهة اعوجاجها حتى تقف على الاستواء والاستقامة التي هي الوسط بين الجهتين . وأعلم أن النفس الناطقة كالملاك السائس المدبر للمدينة والقوة الفضية كالجندي الذي يستعين به الملك على تقويم الرعية والقوة الشهوانية والقوى التي تتبعها كالرعية وكما أن صلاح المدينة وانتظام أمورها لا يكون إلا بأن يكون الملك عالماً بمناهج السياسات محظياً بوجوه التدابير عارفاً بمواقب الأمور سائساً لاجنده مقوماً للرعية وأن يكون جنده أقوىاء منقادين له مطاعين لامرها وأشارته وأن تكون الرعية ضعفنا قابلين للتقويم والتتعديل حتى لو قدر الامر بخلاف ما ذكرنا امتنع صلاح الملك واستقامة حال الرعية . فكل ذلك العدل الخلقي لا ينتظم في العالم الانساني إلا بأن تكون النفس الناطقة مستولية على النفسين الآخرين متصرفة فيما على مقتضى الرأي الصائب والنفسات منقادتان لها مطيعتان لامرها وأشارتها غير متابعتين لمقتضى طاعتهما في استيفاء لذة الانتقام

والقلبة وقضاء وطر الشهوات قائمتين فيما بما أطعها العقل
والشرع متمسكتين بأحكام الشريعة الحقة في جميع الاحوال
والأعمال فانها الاعمال الموصلة الى السعادة الابدية المقربة
إلى الحضرة الصمدية فان أساس الفضائل وما لا كها هو
الرجوع الى ملك الحضرة والوصول الى جانب رب العزة فانه
مجموع اللذات ومتى هي السعادات

﴿القسم الثاني في الفروع الجزئية لمحاسن الأخلاق﴾

(الفصل الأول منه) في نصائح الحكماء والأداب النافعة
يجب على طالب الكمال أن يعرف أصول الأمور وفروعها
ويتقدم باحراز الاصول فان كثيراً من الناس ضيعوا الوصول
بتركهم الاصول كما فيل من ضييع الاصول حرم الوصول فان
أصاب الفروع بعد احراز الاصول فهو أفضل . فأصل الامر في
الدين أن يعتقد على الإيمان ويتجنب الكبائر ويؤدي
الفرائض فائز ذلك لزوم من لاغناء له عنه طرفة عين ومن
يعلم أن من حرمه هلك - ثم ان قدرت أن تتجاوز ذلك الى

الفقه والعبادة فهو أفضل . وأصل الامر في اصلاح الجسد أن لا يحمل عليه في المآكل والمشارب والبهتان حقه ثم ان قدرت على أن تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع به فهو أفضل وأصل الامر في الناس أن لا تحدث نفسك بالادبار وأصحابك مقبلون على عدوهم ثم ان قدرت أن تكون أول حامل وآخر منصرف في غير تضييع للحدن فافعل فانه أفضل . وأصل الامر في الجود الا يضن بالحقوق عن أهلهان ثم ان قدرت على أن تزيد ذي الحق على حقه وتفضل على من لاحق له فهو أفضل وأصل الامر في الكلام أن يسلم من السقط بالتحفظ ثم ان قدرت على بادع الصواب فهو أفضل . وأصل الامر في المعيشة الثانية في طلب الحلال وأن يحسن التقدير لما ينفق ولا يفرنك من ذلك سعة تكون فيها فان أعظم الناس في الدنيا أحوجهم الى التقدير ثم ان قدرت على الرفق والمطاف في الطلب والعلم بالمطالب والمسااسب فهو أفضل وقس على هذا امراعاة لاصول وتقديمها على الفروع في جميع الامور . واعلم أن لكل شيء سبيلاً وعلة وسبباً طيب العيش مدراة الناس وسبباً المداراة وفورد العقل

وسبب اليسر التيسير وسبب المزد الشكر وسبب زوال النعم
 البطر وسبب المففة غض البصر وسبب المطبل الغضب وسبب
 الزينة الادب وسبب الفجور والخلوة وسبب البغضة الحدة وسبب
 الحببة المهدية وسبب الدععة الضمة وسبب الاخوة البشاشة وسبب
 القطيعة كثرة المعاتبة . وسبب الفقر السرف وسبب الثروة حسن
 التدبير . وسبب المقت الحلف وسبب البلاء المراء وسبب الهوان
 الطعم وسبب الثناء السخاء وسبب التجارة الصدق وسبب التجاج
 الرفق وسبب المذلة المسألة وسبب الحرمان الكسر وسبب العلو
 حسن الرئاسة وسبب النيل ترك المزد وسبب النفرة الصلف
 وسبب الاموال الحالول بساحة الملوك . وسبب الحير كله غلبة
 العقل على الهوى . وقيل لحكيم ما السرور قال عقل يقييك وعلم
 يزيينك وولد يسرك ومال يسعك وأمن يريحك وعافية تجمع لك
 المسرات . واعلم أن من الأمور ما لا يصلح إلا بقدر انتها فلابيتفع العلم
 بغير درع ولا الجمال بغير حلاؤه ولا الحسب بغير أدب ولا السرور
 بغير أمن ولا الغنى بغير جود ولا المروءة بغير تواضع ولا شدة
 البطاش بغير شدة القلب ولا خفف العيش بغير كفاية ولا الاجتهد

بغير توفيق وقيل السعيد من الناس من كان العقل أو فرط طباعه والعلم
 أفضل ذخائره ولا يغرنـيه إلا القناعة ولا يؤمنـه إلا البراءة ولا
 يوجـب الزيادة له إلا الشـكر ولا يدفع عنه المـكاره إلا الدعـاء
 ومن عدم العـقل لا يزيدـه السـلطـان عنـاً . ومن عدم القـنـاعـة لا يزيدـه
 المـال غـنى . وقيل وقرـمنـ فوقـك ولـنـ لـمـ دـونـكـ وأـحـسـنـ موـافـأـةـ
 أـكـفـائـكـ وـكـاـقـيلـ وـقـرـكـبـيرـهـ وـارـحـمـ صـنـيرـهـ وـرـاعـ فـالـخـلـقـ
 حقـ منـ خـلـقـهـ وـلـتـكـ أـبـرـ مـنـ ذـلـكـ بـمـوـافـأـةـ أـكـفـائـكـ فـاـنـ هـذـاـ
 يـشـهـدـ لـكـ بـأـنـ اـجـلـالـكـ لـمـ فـوـقـكـ لـيـسـ بـخـضـوـعـ لـهـمـ وـاـنـ لـيـنـكـ
 لـمـ دـوـنـكـ لـيـسـ لـطـمـعـ فـيـهـمـ . وـاـذـاـ اـسـتـطـلـتـ عـلـىـ الـاـكـفـاءـ فـلـاتـضـنـ
 عـنـهـمـ بـالـصـفـاءـ وـأـحـسـنـ تـقـدـيرـ مـعـاشـكـ وـمـعـادـكـ تـقـدـيرـاـ لـاـ يـفـسـدـ
 عـلـيـكـ إـحـدـاهـاـ إـلـاـ خـرـفـاـنـ أـعـيـاـكـ ذـلـكـ فـاـرـفـضـ الـادـنـيـ وـأـئـرـ
 الـاعـظـمـ . وـلـاـ تـرـتـكـ قـبـحـاـ فـيـ وـقـتـ مـنـ الـاـوـقـاتـ لـاـ عـلـىـ خـلـوـةـ
 وـلـامـعـ غـيرـكـ وـلـيـكـ اـسـتـحـيـاـءـكـ مـنـ نـفـسـكـ أـكـثـرـ مـنـ اـسـتـحـيـاـءـكـ
 مـنـ غـيرـكـ . وـاعـلـمـ أـنـ دـوـاعـيـ الشـهـوـاتـ اـذـاـ اـتـصـلـ بـهـاـ حـاجـاتـهاـ
 كـانـتـ كـالـحـطـبـ لـلـنـارـ وـكـالـمـاءـ لـلـسـمـكـ وـاـذـاـ مـنـعـتـهاـ عـنـهاـ وـحلـتـ
 مـاـيـنـهـاـ وـبـيـنـ مـاـتـهـوـيـ اـنـطـفـاءـ النـارـ عـنـدـ فـقـدانـ الحـطـبـ

وهلكت واضمحلت كهلاك السمك عند فقدان الماء ولا تستصغرن شيئاً من الخطأ الذي يخالف صواب رأيك فان من استصغر صغيراً أو شرك أن يجتمع معه صغير آخر حتى يصير الصغير كبيراً وإنما هو بلم^(١) يبلعها العجز والاهال في عقلك فاذا لم يسد أو شرك أن يتفجر بما لا يطاق سده ولم ترم معظمها إلا وقد أتي به من جهة الصغير المتهاون به. فان الاصراض قد تأتي من جهة المحتقر منه حتى يهجم منه على الداء العضال والانهار تتفجر من الثقب الصغيرة المستهان بها والحريق العظيم يكون من قبل الشرر الصغير كما قيل * ومعظم النار من مستصغر الشرر * واحد من مخاصة الأهل والولد والصديق والضعف ولا تستفسد صديقاً بهفة تصدر منه ولا تلم أحداً على ما قد يكون في مثله العذر حتى تعلم ما اعتذاره ولا تعد لشكل فارطة عتاباً ول يكن عتابك تأدباً لا تأنيباً. فان شر الادب ما كان تعسيراً وخيره ما كان تيسيراً ول يكن ما تصرف به العذاب والاذى عن نفسك أن لا تكون حسوداً . واعلم أن الحسد خلق ائم ومن

(١) اللم عيون ضيقة ويبلعها بفجرها

لؤمه انه متوكلا بالادنى فالادنى من الاكفاء والاقارب
 والخاطئه وعدُّ حسادك بالاحسان اليهم ودارعدوك لامرين
 اما لرجاء صداقه تؤمنك واما لفرصة تذكرتك ولا تخبره بأنك
 له عدو فتفرج بحزنك وتحمله على التسلح لك وتقودناره عليك
 وأعظم خطرك أن ترى عدوك انك لا تخذه عدواً فان ذلك
 غرة له وسييل لك الى القدرة عليه. وان قدرت على اغفار
 المداوة عنه وارتفعت عن أن تكافئ بها فقد استكملت عظم
 القدر والخطر وان كنت مكافئاً بالعداوة والضرر فياياك أن
 تكافئ عداوة السر بعداوة العلانية وعداوة الخاصة بعداوة
 العامة فان ذلك هو الظلم والمار العظيم

واعلم انه ليس كل عداوة تكافئها كالمخيانة والسرقة
 لا تكافئ بالسرقة. ولا تخذن اللعن والشتم سلاحا على عدوك
 فانه لا يجرح في نفس ولا مال ولا دين فلا تلوث نفسك بما
 لا يضر عدوك. ولا تدع مع ذلك احصاء معايشه وآخفائه هاعنه
 حتى تبديهافي موضعها عند الحاجة. واعلم انه قلما بدأ أحد بشيء
 يعرفه من نفسه وقد كان يطمع في آخفائه عن الناس فيغير به

عدوا عند سلطان أو غيره إلا كاد أن يشهد عليه وجهه وعينيه ولسانه والذى يكون من انكساره وفتوره عند ذلك بالبداية فيجب على العاقل أن يحذر هذه الحالة ويتجدد عليها ويقدم في الاهبة لانتقامها

عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والنجرع لمراة قولهم وعدتهم . ولا تسهل سبيل ذلك إلا الذي العقل والسن لولا يجترئ عليك سفيه أو يستخف بك شانيه وإن ابتليت من سفيه بسفاهة فليا لك أن تتحدى مثاله وتعارضه بسفه فان كان ذلك عندك مذموماً فحق ذمامك إياه بترك معارضته وارع عرضك بالأعراض عنه فإنه لا ينلب في المخاصة شر الناس إلا من كان شرآ منه . وإن كنت في جماعة فلا تعن أمة من الأمم بشتم أو ذم ولا تذمن أسماء الرجال والنساء فالملاك لا تدرى لعلك تتناول بعض أعراض جلساتك أو أسمائهم أو أسماء من يتصل بهم فيجرح في قلوبهم وجراح الإنسان في النهاية بجرح السناف ولتعلم صاحبكت وصديقتك أنك حدب على صاحبه وصديقه ولا يرى منك نفرة من أصحابه

وأعوانه فان ذاك ينكاً في القلوب ولطفك يا صاحب صاحبك
 أحسن موقعاً عنده من لطفك به نفسه . واتق الفرح عند
 المحزون واعلم انه يحقد على المظلوم ويسكن لامكتشب . واجتنب
 عن مؤانسة العجب الكفور ومعاشرة الرجل السيء للخلق
 وموطأمة الشره الواقع ومنازعة الاديب المفوّه وعن اللاحاج
 والمراء مع الاخوان وان كنت لسناً — ولا تكثرن ادعاه العلم
 في كل ما يعرض لأن فوق كل ذي علم عاليم . وانك من ذاك في
 فضيحتين اما اأن ينazuوك فيها ادعيت فيه جم عليك بالجهالة
 والصلف واما اأن لا ينazuوك ويخلووا الامرین من يديك فيطلع
 منك على التصلف والدعوى فان آنست من نفسك فضلاً
 فتطلع منك تذكره وتبديه فاعلم ان ظهوره منك بذلك
 الوجه يقدر في قلوب الناس من العتب أكثر ما يقدر لك من
 الفضل وانك إن صبرت ولم تعجل ظهر ذلك منك على الوجه
 الجميل المعروف ولتعرف العلماء منك اذا اجتمعت معهم انك
 على أن تسمع أحرص منك على أن تقول . اذا أردت نوب
 الجمال وأن تتحلى به وتجلب به المودة عند الخاصة وال العامة وتسلك

سيل لا عشار فيه فكن عالماً بجاهل وناظفاً كنبي فان النطق
 اذا احتجت اليه يلييك الى حاجتك وأما الصمت فيكسيك الحبة
 والوقار . و اذا رأيت الرجل يحدث حديثاً قد علمته او يخبر خبراً
 قد سمعته فلا تشاركنه فيه ولا تقبحه عليه حرضاً منك ان
 تعلم الناس انك قد علمته فان في ذلك خفة وسوء ادب وشحا
 واعلم ان لسانك اداة مغلبة يتغابب عليه عقلك وغضبك وكل
 غالب عليه مستعن به يصرفه فيما يحبه فاذا غلب عليه عقلك
 فهو لك والا فهو لمدوك فأجتهد الا يكون الا لك ولا تحدثن
 الا من يرى حديثك مغنا فلن لم يسط الحديث فارفع عنه
 مؤونة الاستماع مالم يغليفك الاضطرار وتعلم حسن الاستماع
 كما تعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى
 يقضى كلامه وقلة التلفت الى الغير وترك سرعة التلفت الى
 الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم حتى يقضى كلامه
 بتمامه . ولا تخلطن بالجدهن لا ولا بالمهزل جداً فانك ان خلطة
 بالجدهن لا هيجنته وان خلطة بالمهزل جداً كدرته الا في
 موطن واحد ان قدرت ان تستقبل الجد بالمهزل اصبت في

الرأي وظهرت فيه على القرآن . وذلك أن يتورط متورط بالسوء
والغضب وسوء الغلط فتجبيه أجاية الم Hazel المراغب برحمة من
الذرع وطلاقه من الوجه وثبات من المنطق

ومن سوء معاشرة الرجل أن تشقق عليه نعمة يراها صاحبه
فبكون مما يتشفى به في تصغير صاحبه وتكميد نعمته أن يذكر
زوال النعم وفناء الدول كأنه واعظ أو قاض ولا يخفى أن قوله
لا ينزل منزلة الموعظة ولكن منزلة الضجر من النعمة والاغتراب
لها والاستراحة بقوله عنها واعلم أنه سيمر بك من الأحاديث
ما يعجبك أبا مليحة أو رائعة ثم تحرص على أن تعجب منها
أقوام وليس كل معجب لك مجيئاً لغيرك فإذا نشرت ذلك
مرة أو مرتين ولم تره وقع من السامعين موقفه منك فائز جر
من العود له فان التعجب عن غير عجب سقط شديد . وإذا أصاب
أخوك فضل منزلة من السلطان فلاترينك أن ذلك الفضل زادك
له ولا لا يعرفن منك عليه عاصي أخائه تذلاه وأره ان سلطانه
زادك له توقيراً واجلاً ولا تقدر الامور بينك وبينه على ما كنت
تعرفه من أخلاقه فان الأخلاق مستحبة مع السلطان وإذا رأيت

في جدة دولة أمر قد استقام بغير رأى وحزم وأعواانا غليوا
 بغير فضيلة واستحقاق فلا تفتر بذلك ولا تظم أمرها فان ذلك
 الامر يستب ثم تصير الشؤون الى حقائقها وأصولها وقد قيل
 دولة الجاهل كالغريب يحن الى وطنه بالانتقال ودولة العاقل
 كالنسيب يحن الى مقامه بالاتصال
 ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والجليس السوء فان
 أبغض الناس من آذى جاره وجليسه كما قيل اصبر لاذى
 جارك السوء اما ان يرحل او يموت
 واعلم ان اللئام اصبرا جساداً والكرام اصبرا نفساً لأن
 الصبر على ماثلقي الاجساد من صفات الباهم والصبر المحمود لأن
 يكون المرء للنفس غلوباً ومن الهوى حذوراً وللمساق التي
 ترجى حسن عاقبتها متحملاً وعلى مجاهدة الشهوات صبوراً
 وعود نفسك السخاء واعلم ان السخاء على نوعين سخاء الانسان
 بما في يده وسخاوه عما في ايدي الناس والاول أقربهما من
 أن يدخل فيه المفاخرة وترك ما في ايدي الناس أمحض في
 في التكرم وأنزه من الدنس فان جمعهما أحد فبذل وعف فقد

استكمل الجود والكرم . واعلم ان محض الكرم الوفاء بالذمم
 والطعم فيما عند الناس من لؤم النفس ودناءة الهمم . واياك
 والقبح مع العلم بالذى منه كنت وبالذى اليه تصير وتحملك
 ما في بطنك وتركبتك . من الاشياء التي شأنها الانحلال والانتقال
 من حال الى حال . واياك والكذب فانه لا يكون الامن مهابة
 النفس وسخافة الرأى والجهالة بعواقب مضرته . وأقل مضاره
 ان يقال فلان لا يصدق فيستقطع اعتبار قوله من أعين الناس
 واياك والخلف في حال الصدق فاما في حال الكذب فاجتنب
 منه أشد الاجتناب . واعلم ان أوقع الامور في الدين وأنهكها
 للجسد وتألفها لاهال وأضررها بالعقل وأسرعها في ذهاب الجلالة
 والوقار الاغراء بالنساء . ومن البلا على المغرور بهن انه لا يزال
 يكره ما عنده ويطمع فيما عند الناس وانما النساء اشباه وما يظهرن
 في العيون والقلوب من فضل مجده ولا هن على معرفة فاتهن باطل
 وخدعة بل كثير مما يرغب فيه الراغب بما عنده أفضل مما توق
 اليه نفسه وانما المرتفب عما في رحله منها الى ما في رحال غيره
 كما مرتفب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس من الاطعمة

بِلِ النَّسَاءِ بِالنَّسَاءِ أَشْبَهُ مِنَ الطَّعَامِ فَاحذِرُ عَنْ هَذِهِ الرُّذْيَا
أَشَدُ الْحَذْرِ

لَا تُفْرِحْ بِالْبَطَالَةِ وَإِنْ كَانَ فِيهَا رَاحَةٌ وَلَا تُحْزِنْ مِنَ الْعَمَلِ
وَإِنْ كَانَ فِيهِ تَبْ وَاغْتِنَمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا تَعْجَلْتَ وَمِنَ الْأَهْوَاءِ
مَاسَوْفَتْ وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَيْرَ مَغْلَبَةٌ وَإِنَّ الْحَرْصَ مَحْرَمَةٌ . مِنْ قَتْلِ فِي
الْحَرْبِ مُقْبِلًا أَفْضَلُ مِمَّنْ قُتِلَ مَدْبِرًا . وَمِنْ طَلَبِ الْأَجَالِ
وَالْتَّكْرِيمِ أَكْثَرُ وَصُولًا إِلَى مَطْلُوبِهِ مِمَّنْ طَلَبَ بِالشَّرِهِ وَالْحَرْصِ
وَادْرَاكُ الْحَاجَةِ مِنَ النَّاسِ لَا يُعْكِنُ إِلَّا بِلَطْفِ السُّؤَالِ وَلِنِينِ
الْمَقَالِ وَحَسْنِ الْإِنْاءَةِ وَقَلَةِ الْإِسْتِكْرَاهِ . وَلَا تُسْهِنْ أَبَالْمَالِ وَتُنْهِيَتِهِ
فَإِنَّ الْمَالَ آلَةٌ لِلمَكَارِمِ وَعُوْنَانٌ عَلَى الدَّهْرِ وَقُوَّةٌ عَلَى الدِّينِ وَمَأْفَةٌ
لِلأَخْوَانِ . وَفَقْدُ الْمَالِ مَعَهُ قَلَةُ الْإِكْتِرَاثِ مِنَ النَّاسِ وَتَبَعِّهُ قَلَةُ
الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ وَالرَّهْبَةِ مِنْهُ وَمِنْ لَمْ يُكَنْ بِمَوْضِعِ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ
اسْتَخْفَ بِهِ النَّاسُ . قِيلَ لِحَكِيمٍ لَمْ تَجْمَعْ الْمَالُ وَأَنْتَ حَكِيمٌ قَالَ
لَا صُونَ بِهِ الْعَرْضُ وَأَأَوْدِي بِهِ الْفَرْضُ وَاسْتَغْنَ بِهِ عَنِ الْقَرْضِ
وَلَا تَقْدِمْ عَلَى النَّوْمِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَصْفُحْ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي فَعَلَنَّهَا
فِي نَهَارِكَ أَجْمَعُ وَمَا لَمْ تَفْعَلْهَا فَتَى كَنْتَ قَدْ أَتَيْتَ مَكْرُوهَهَا

فليذعنك ومتى كنت قد أتيت رضيَا فلبيه جنك وان كنت
 تركت ما يجب عليك فعله فلتلوم من نفسك بالتقدير حتى تزجر
 عما تكره وتلوم على ما يجب وتدارك ما قصرت فيه . واياك
 وال تعرض لامر مذموم فان ماتراه مذموماً في غيرك لا يكون
 محموداً فيك . واياك ان تظن ان حسناتك تستغرق سياتك
 هيبات فان القليل من الاساءة في القول والفعل يتحقق كثيراً من
 الحسنات . واعلم ان العادات قاهرة فمن اعتاد شيئاً في سره وخلواته
 فضحه في علانيته عند الملاء فاجهد في افتناء العادات الجميلة
 والاجتناب عن العادات الرذيلة . ومن كلامهم لا يوجد الفجور
 محموداً ولا الفضوب مسروراً ولا الحر حريراً ولا الكريم حسوداً
 ولا الشره غنياً ولا الملول ذا اخوان ولا يوجد عاقل يحدث
 من يخاف تكذيبه ويسأل من يخاف منه ويعد من لا يثق
 بانجازه ويرجو مايعرف برجائه ويقدم على مايختلف العجز عنه
 (وصية الفرس) كن صدوقاً لتومن على ما تقول وكن ذا عهد
 لتوفى بهدك وكن شكوراً تستوجب الزبادة وكن جواداً تكون
 لخير أهلاً وكن رحيم المضروبين لثلا ثباتي بالضر وكن ودوداً

لثلا تكون معدنا لأخلاق الشياطين وكن مقبلا على شأنك
 لثلا تؤخذ بما لم تجترم . وكن متواضعا ليفرح لك بالخير وكن عالما
 لتقريعينك بما أورت وسر للناس بالخير لثلا يؤذيك الحسد وكن
 حذرآ لثلا تطول مخالفتك ولا تكن حقوداً لثلا تضر بنفسك
 الغانية اضرارا بافيأ وكن ذا حباء لثلا تستدملى العلماه فان مخافته
 العاقل من مذمة العلماه^(١) أشد من مخافته من السلطان القاهر
 (وصية لقمان لابنه) كن في الشدة وقورا وفي المكاره صبورا
 وفي الرخاء شكوراً ولا تهن من أطاع الله ولا تكرم من عصى الله
 ولا تدع ما ليس لك ولا تجحد ما عليك ولا تتعرض للباطل
 ولا تقل مالم تعلم ولا تتكلف مالا تطيق ولا تتعاظم ولا تفخر
 ولا تضجر ولا تغتب ولا تهمز وان أسيء اليك فاغفر وان
 أحسن اليك فاشكر وان ابتليت فاصبر واحفظ العبر واحذر
 الفير . وقيل عظموا قدركم بالتفاول عن دنيا الامور وامسكونوا
 رقم الضعيف بالمعونة ودربواعقولكم بادب كل زمان واجروا

(١) المقصود من العلماه العاملون بعلمه لا كمن يمدح ويذم انفرض
 شخصي فان مثل هؤلاء شياطين اه

مع اهله على مناهجهم يقل من يخاصمكم وتسليم أعراضكم
وضعوا عنكم مؤنة الخلاف والمماحكة في المنازعه فربما اورثت
الضفاع ونقضت برم الموادات ولا يطمئن ذو الكبر
في الشذاء الجميل ولا الخب^(١) في كثرة الصديق ولا سيء الادب
في الشرف ولا الحريص في لذة العيش . وقال آخر من كرمه العار
فليتجنب خمس خصال الحرص والشح واحتقار الناس واتباع
المهوى والمطل بالوعد . وقيل لا تؤاخين مخادعا ولا تستنصر
عاجزا ولا تستعين كسلان ولا تحسين العالم الفاجر عالمأ ولا الناسك
الخادع ناسكا ولا الاخ الخاذل أخا ولا مصطنع الكفور منعها
ولامن عظم عنده الدنيا عاقلا . اذا رأيت نفسك فد تصادرت
الدنيا عندها ودعوك الى الزهد ففيها على حال تعذر فلا يغير نك
ذلك من نفسك على تلك الحال فانها ليست بزهادة لكنها
ضجر وضعف وتعذير من النفس عن ما اعجزها من الدنيا
وغضب منك عليها لما التوى عليك منها فاذا يعمت الى رفضها
وامسكت عن طلبها او شئت أن ترى من نفسك من الضجر

(١) الخب المخادع وهو بكسر الحاء تسمية بالمصدر اه

والجزع أشد من ضجرك الاول بالاضماف ولكن اذا دعوك
نفسك الى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرع اجابتها الى
ذلك فانها زهادة . وتمسك في كل الاوامر بمحبل الحزم والاجتهداد
واسأل الله توفيق الثبات والسداد

﴿ الفصل الثاني ﴾

فيما يجري مجرى الامثال السائرة من الكلمات النادرة
محاسن الاخلاق . كنوز الارزاق . صفاء الاخلاق . من بقاء
الاعراق . الشرف بالهمم العالية لا بالررم البالية . الفضل بالشهامة
والعمل لا بالفخامة والطلل . لاسمير كالعلم ولا ظهير كالحلم . من
غزرت عوارفه كثرت معارفه . السلامه مع الاستقامة . الجهل
مطيبة من دركه سقط ومن صحبا حبط . من عدل عن سبيل
السلامه حصل على طول الندامة . اصطناع الاراذل سمة في
وجوه الافضل . كفر ان النعم عنوان النقم . الحر اذا زل استطال
واذا ملك اقال . الكريم من اكرم الاحرار . والكبير من
صغر الدينار . السود بكثرة الاتباع وكثرة الاتباع بكثرة

الاصطناع . ثمرة الادب العقل الراجح وثمرة العلم العمل الصالح .
 لا يقع في البهتان حفر ولا يتحقق المكر السيء الا بمن مكر .
 من أمن من الزمان خانه ومن يعظمه عليه أهانه . من اقتضى في الغنى
 والفقير فقد استعد لنواب الدهر . من التوقي ترك الافراط في
 التوقي . لا بد للجواد من كبوة وللسيف من ثبورة وللحايين من
 هفوة . الانتقام عدل والتجاوز فضل . خير المزاح لا ينال وشره
 لا يقال . بادر الى العمل وكذب الامل ولا حظ الاجل . التلطيف في
 الحيلة خير من الوسيلة . الاعتبار يجلو من البصر ظلمة
 الاغترار . الغني ترك المنفي . من صارع الحق ذل ومن أحب
 بوأيه ضل . ليس من العدل سرعة العدل . الحر عبد اذا طمع
 والعبد حر اذا قنع . من اشتد شره ظهر سفهه . شر الناس من
 يعمل كارها ويأكل فارها . نعم الموازنة المشاورة . بئس الاستهدا
 والاستبداد . دولة الجاهل عبرة العاقل . العاقل ينظر بعقله وخارطه
 والجاهل ينظر بعيته وناظره . من ذكر المنية نسى الامنية . من
 اكتفى بالكافاف اكتسى بالعفاف . عرض للكرم وصرح
 للثيم . من لم تهزه قليل الاشارة لم تنفعه كثرة العبارة . بعض الحلم

مذلة وبعض الاستقامة مذلة . من أهان فلسه صان نفسه . اذا
 بروزت العقول كثرت الفضول . زوال الدول باصطناع السفل
 رب فرصة تؤدى الى غصة . رب حجة تأتى على مهجة . رب
 دم هو سفكه ثم . من طلبه القدر لم ينجيه الخدر . لا تخدعنىك الدنيا
 بخدائهما ولا تفتئن بودائهما . الرقاد عن هول المعاد مقطعة للزاد
 العذر من صغر القدر . لكل نجم أ Fowler ولكل زهرة ذبول
 عند تصحيح الضمائر لتفتر الكبائر . الرفق يفك حد المخالفة
 انظر الى الدنيا اعتباراً لا اغتراراً . واعمل البر بداراً لا انتظاراً
 لا تدخر عمل اليوم الى الغد . فان كل يوم يأتي بمشاغله الصدق
 امانة والكذب خيانة . الصحة بضاعة والتواني اضاعة . لقاء
 الاخوان جلاء الاحزان . الليل والنهار يعلان فيك فاعمل فيما
 لا تطلب مجازات أخيك ولو حتى التراب بفيك . آخر الصبر
 أول الفرج . خمير الرأى خير من فطيره . من ثقل على صديقه
 خف على عدوه . من رضى عن نفسه اكثر الساخطين عليه
 الرفق أدنى سبب للرذق . ياحبذا الوحدة من أليس اذا خُشيت
 آفة الجليس . نعم التجارة الشكر . لا عذر مع الاصرار . لاصحة مع

الهم . لا صدقة مع الحسد . لا راحة مع المرض . لا عذر مع
 الكبر . صدرك اوسع لسرك رب أخ لم تلده أملك . ترقب حزم
 فإذا استوضحت فاعزم . اتهز الفرصة قبل ان تعود غصة . مغالية
 الحق من غلبة الحق . الدنيا دول تبنيها الاعداد ويهدمها الليل
 والنهار . الكتب اصداف الحكم أسد حطوم خير من سلطان
 ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنه تدوم . اذا عظمت القدرة قلت
 الشهوة المصطلي بالنار اعلم بحرها . رب صغير حاجه كبير . رب
 غم يدب تحت سرور . ستساق الى ما أفت لاق . البخيل
 حارت نعمته وخازن لورثه . لكل امرء من دنياه ما ينفق
 لا خراه . تجتمع من عدوك الغصة حتى تجد الفرصة . لا خير
 في من لا تمعنه التجارب . الا الحق . من يأ كل ما يجدد ثم يسأل
 مالا يجدد . من بالغ في الخصومة ظلم ومن قصر فيها ظلم .
 الحسود لا ينال شرفا ولا يفارق أسفًا . قلة معرفة الانسان
 لعيوبه اكبر ذنبه . أحضر الناس جوابا من لا يغضب . أ وضع
 الناس من عمل على الرهبة . خفر المرء بفضله لا يأصله . لا يقوم
 عن الغضب . بذل الاعتذار . الشر يطفئ نار العداوة ليس كل

انس مودة . ولا كل انقباض وحشة لاتقل مالا تعلم ولا تنزع
 فيما لا تعلم . رتبة العلم أعلى الرتب . غلام عاقل خير من شيخ
 جاهل . هموم المرء بقدر هممه . قيمة المرء همته . في تقلب
 الاحوال تعرف جواهر الرجال . ادب المرء خير من ذهب
 جولة الباطل ساعة وجولة الحق الى يوم الساعة . غضب الجاهل
 في قوله وغضب العاقل في فعله . ظل الاعرج أعوج . فرع
 الشئ يخبر عن أصله . أشقي الناس من له عدو عاقل . من
 صروة الرجل تقأ نوبه . ولا ية الا حمق سريعة الزوال . لا فقر
 للعقل ولا كرامة للكاذب لانباء مع الكبر . ولا شرف مع
 سوء الحاقق ولا داء أعيي من الجهل . ولا كرم اعز من التقى
 اذا تم العقل نقص الكلام . افقر الفقر الحمق وأغنى الغنى العقل
 او حش الوحشة العجب . ايام المرء يعرف باليابانه . اخوك
 من واساك في الشدة اخفاء الشدائيد من المروءة بركة العمر
 في حسن العمل جد بما تجده . حرم الوفاء . على من لا أصل له
 خف الله تأمن غيره . الغريب من ليس له حبيب . صديق
 مساعد عضدو ساعد ومما جاء في العظة * الفقر خير من غنى لا ينفع

اذا عن بحر لم يجزى التيتم * وعند صفو الایامى يحدث الكدر
 وقد عرفت دفع الليوث البهائم * بجهة العير يغدو حافر
 الفرس . ما للعبد عن المولى مصدرا * الفضل ما شهدت
 الاعداء به * الدر يقطعه جفاء الحال النجح يأنف بين العجز
 والضجر * ان الوعيد سلاح العاجز الحق المرء يصلحه الجليس
 الصالح * الایث لا يصلح العقبي اذا وتبانى بما أنا بال منه
 محسود * ان الاسود حايمها غضبان * ومن ساعي الايام طاب
 حنانه * ومن ناقش الاخوان قل صديقه * وان فساد الرأى
 ان يتربدا * الناس خلاف اذا لم يغتفر اذا لم تجد بالمال حادثك
 الدهر * الموت مستجل يأتي على مهل عليك بالحفظ دون
 الجم من كتب * لكل امرء من دهره ماتمودا اذا عظم
 المطلوب قل المساعد ليس التكحل في العينين كالكحل . لانفر
 الا بالصديق العاقل * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا * ولم ار
 كالتواضع في علو * فكانها وكأنهم أحلام * الله فرد يحب الفرد
 فانفرد . العمر منقرض والدهر خوان * وكل يوم مضى بمضى
 من الاجل * متى يستقيم الظل والعود اعوج * عند الشدائد

تُعرفُ الْأَخْوَانُ * عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذَهَّبُ الْأَحْقَادُ * الرَّأْيُ قَبْلُ
 شَجَاعَةِ الشَّجَاعَانِ * إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلْكَتْهُ * خَلَقَ
 الزَّمَانَ عَدَاوَةَ الْأَحْرَارِ * تَمَّ الْقَسْمُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْوَهَابِ

— تَسْقِيفٌ —

— (الْقَسْمُ الثَّالِثُ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِمَكَارِمِ اخْلَاقِ الْمُلُوكِ) —

﴿ وَآدَابُ اتَّبَاعِهِمْ ﴾

(الفصل الأول منه في مكارم اخلاق الملك خاصة)

اعلم ان شريف الاعمال لا يتصرف فيه الا بشرف
 الاخلاق وان الرئاسة لا تم الا بحسن السياسة فان السائس
 الرشيد كالطبيب الحاذق في حفظ الصحة وازالة المرض وما
 يعرض في الملوكه من الانحراف شبيه بما يعرض في الاجساد
 من الوجاع والاصاب فينبغي ان يكون اجهاد الملك في

دعاية صحة مملكته وازالة مرضها كاجتهد في رعاية صحة بدنه
 وازالة مرضه ويكون اغباطه بما يخلقه من الذكر الجليل
 والاثر الجميل أكثر منه بما يشاهده في مدة حياته بسمه وبصره
 قال الحكيم أولى الناس بالملك اشدهم حبة لاصلاح الرعية
 واعلمهم بالتدبر واسدتهم سلطانا على هواه وأقهرهم له
 فيما يتعلق بصالح الملكة واقدرهم على بسط العدل فيها ورفع
 الظلم عنها فان العدل ميزان الله في ارضه به يؤخذ المضييف من
 القوى ولل الحق من المبطل فن لم يراع حق الله وميزانه فيما
 بين عباده وبالاده فقد جهل اعظم الجمالة واغتراد الاختراو
 ولا يمكن ضبط الملكة ولا رعاية الرعية الا بالمهيبة ولا هيبة
 للملك عند الخلاصة والعامنة . مثل هيبة العدل والتزاهم من معرفة
 الشهوات (وفي وصية ارسسطو والاسكندر) احذر الشهوات
 ول يكن ما تستعين به على كف النفس عنها علمك بانها مذلة
 للعقل مرجنة للرأى شائنة للعرض شاغلة عن عظيم اور الملك
 فان نازعتك نفسك الى الشهوات والاذمات والهو والمهيات
 فقد نزعت بك الى شر منزلة وادناها وأخسها وأسقطتها فغالبها

أشد المقالبة وامتنع منها أشد الامتناع ول يكن مرجوك منها
إلى الحق ولا تداهن نفسك في الهوى يسير فتقطع منك في
الكبير ولا تبطل عمرك في غير الحق ولا مالك في غير الواجب
ولا قوتك في غير الرشد فان كنت لا بد لك ان تستغل بذلك
فلتكن في مجادلة العلماء ومطالعة كتب الحكمة فان ذلك يجمع
لك السرور ونعم السعادة وخلافه يحتم لك عاجل المعرفة ووخامة
العقوبة . وقال حكيم آخر لاتغرن الملك غروراً بان تحسن له دواعي
الهو والهزل والمضحكات فان ذلك صبأ او تصابي ولا توهمه
وهما بآن تناولها يزيل ملاحة او كلامه وانه انسفع من اطرافها فان
ذلك من اسقط الاوهام واردها وأخسر صفة من ينبع غنية
الحياة وأشرف الاعمال الموصلة الى السعادات الابدية بادون
الافعال البهيمية التي هي فعل الصبيان والنسوان له . وحسن
له الفراغ من اهل التعطيل فان اراد ازالته ملاحة فليكن في
مجاورة القضالاء من النداء ومسامرتهم واستماع آثار من غير
من ملوك الزمان وتحول أحواطم وأعصارهم وتقلب دولهم
وأدوارهم فتزول ملالته بذلك وتهذب أخلاقه بما تكسبه الفكرة

في ذلك من فوائد التجربة وان استراح احياناً من السماع
 بما كان داعياً الى الكرم وحاثاً على السماح ومحركاً الى الشجاعة
 ومن الصيد والقنص بما يكون تدريباً ورياضة لخياله وجشه
 فلا يأس عليه مع انه لا يمتع أشرف من حكمة تخبر بحقائق
 الاشياء ولا صيد انفع من قيد قلوب الاعوان وال AOLs واكثر
 ما ينتفع به الملك تدبير الملكة وزينة السلطة ومحافظة المحبية
 ومحاورة العلماء واستماع آدابهم وقبول نصائحهم وأن يجعلهم
 ثقاته وأعوانه وبطانته وحراساً على أفعاله وأحواله بحيث لا ينفلون
 عنه وإذا غفل هو عن نفسه فالواجب عليه تعهد أحوالهم
 وكفاية مؤمناتهم وأن لا يحقر أحداً منهم لخوله وردة كثرة حاله
 فان هلاك الملوك في الدنيا والآخرة في استصغار العلماء واحتقار
 ذوى النهى والعقل . وليرعلم ان سرعة ائتلاف الاخيار عند
 استئثارهم كسرعة اختلاط ماء المطر بالبحار وبعد الاشارة من
 الائتلاف وان طالت معاشرتهم كبعد البهائم من التعاطف وان
 طال اعتلافها وان اشتبتكت على الملك الامور وعميت عليه
 التدابير فليكن مفزعه فيها الى آراء العلماء المرشدين والوزراء

الناصحين والمشاورة معهم فان منها تستين مصالح الامور كما
 تستين المصابيح في ظلم الديجور فان الحازم فيها اشكل عليه من
 الرأى بمنزلة من أضل اؤلؤة بجمع ما حول مسقطها من التراب
 فنخله حتى وجدتها كذلك الحازم يجمع جميع الآراء في الامر
 المشكل ثم يعن فيه فكره ويسقط بعضه حتى يخلص منه الرأى
 الصائب . وقد قيل المستشير متحسن والمستبد متهد في الغلط
 ولعل رأيك يوهمك بأن بعض الناس يزدرىك لاقتباسك منهم
 صواب الرأى ويستخف أمرك عتدهم فان خطر هذا فاطرحة
 أشد الاطراح فان الذى تسعده به من الهم المستفاد منهم وتقوز
 به من مخالفة أهل الجهل افضل لك وأتم نفعاً وأعظم خطرًا من
 أن يعاد له شئ سواه مع ان الناس فيك وجлан رجل عاقل
 يتحقق عنده صواب رأيك وجاهل لا يفرق بين صواب الرأى
 وخطاءه فلا اعتبار بقوله وفعله عند العقلاء . ولعلم الملك ان تعييد
 قواعد المملكة وتنظيم أمور العدلة لا يتم الا بجسم بوائمه
 الاشرار وحسن رعاية الاخيار وصلاح الاعوان والأنصار
 والاجتهاد في انتقاء صالحى العمال لأن اعمال الملك كثيرة ولا

يمكن أن يجتمع استعداد جميع الاعمال في واحد فالوجه في ذلك أن يكون الملك عارفاً بشرائط كل عمل وباستعداد كل واحد معرفة تامة حتى يفوض إلى كل عامل عملاً يليق به ويُشتهر بالكفاية والأمانة فيه فان العامل للملك كالسلاح للمقاتل فإذا فقد الملك عمال الصدق فقد نزل به ماينزل بالمقاتل اذا بقي بلا سلاح ويجب ان يولي خيار أهل مملكته ولا يسلط على الناس جهالهم فان الجهة قائد الضلاله والضلاله واسطة الفتنة وفي الفتنة سفك الدماء والملائكة وقد قيل

لا يصلح الناس فوضي لا سراة لهم ولا سراة لمن جهالهم سادوا
ويجب عليه بعد تفويض الاعمال إلى العمال المستعدين لها
أن يتفقد أحوالهم في أعمالهم ويبالغ في تفحص أخبارهم حتى
لا يخفى عليه احسان من أحسن في عمله واساءة من أساء فيه
ثم لا يتهاون في تمكين المحسن وزحزحة المسيء مكافأة احسانه
وإساءاته ويبادر في ذلك بحيث يبشر المحسن بعلمه قبل أن يصل
اليه معرفه ويفرق المسيء في حزنه قبل أن يبتلى بعقوبته وقيل
خير الملوك من يشق به البرىء ولا يأمن منه المربي ويعلم أهل

الخير ان معروفة لا يصل اليهم الامعونة الخير ويتحقق أهل الباطل
 ان عقوبته ستصل اليهم بلا دافع فان ثقة البرىء تزيده اجتهداداً
 في المناصحة وخوف المريب يزيده رعباً وهيبة ومع الاجتهداد
 بالمناقصة العافية ومع الرعب والهيبة الاستقامة في الطاعة
 ويجب مع ذلك أن لا ت عدم على بابه الشفاعة ممن يشتم عليه وردهم
 وتصعب عليه مخالفتهم حتى يمتنع عن الافراط في التأديب
 المجاوز حد المساءة بشفاعتهم ويجب أن يعلم أن كل واحد من
 الناس لا يخلو من عيب وفضيلة فلا ينفعه عيب رجل من الاستهانة
 به فيما عنده منفعة له ولا تحملته فضيلة رجل على الاستهانة به
 فيما لا معونة له عنده وإذا عرض لبعض خدمه قاطع عن بلوغ
 غرض هو بقصده فلا يلزم منه ذنب الدهر مع ثقته به فقد
 يقطع الملوك القواطع عن حقوق أنفسهم فضلاً عن أوليائهم
 بخدمتهم . واعلم أن وجود أعوان السوء أضر عليه من فقدان
 أعوان الصدق ويستعين على إنفاذ الأموال بمخالفتين أحدهما تألف
 آراء الأعوان والآخر التثبت في الأداء ويحثث من التأثير
 في المهام والتواني فيما يحدث منها فانهان فعل ذلك تزاحمه

عليه الامور وترأكمت عليه المهام واذا لم يكف زمانه لمباشرتها
 تغير في تدبيرها وضيع الامور بحملتها وانما الامور كلها اسرار
 صغير لا ينبغي أن يباشره بنفسه وكبير لا ينبغي ان يكله الى غيره
 فتى باشر صغار الامور شغلته عن كبارها وهي وكل كبارها
 الى غيرها ضاع أكثر مما حفظ وافسد أكثر مما أصلح . فاذا
 ترآكمت الاعمال عليه فلا يلتمس التردد بعد افتتاحها والروغان منها
 فان الصبر عليها هو الذي يحفظها عليه والضجر منها هو الذي
 يزيد تزاحمها عليه فليكن معه عند ذلك رأيه الذي يختار به
 الامور فيختار أولى الامور وأهمها ويشتغل به حتى يتفرغ الى
 الآخر ولا يعظم عليه فوت مافات ويؤخر ما يؤخر اذا وضع
 الرأى موضعه وجعل شغله فيما يجب . وليرعلم الملك ان الناس على
 دينه فليكن للبر والمرءة وحسن السيرة عنده نفاق ^(١) فانه يسلمه
 بذلك طريق الفجور والفساد في مملكته ولية فقد فيما يتقد
 من امور الرعية فاقحة الخاصة وليعمل في سدها وطغيان السفلة
 وليجتهد في قمعه وليرعلم انه اذا التمس رضاه جميع الناس التمس

(١) النفاق بفتح التون الرواج اه

ما لا يدرك وكيف يتفرق رضاه المختلفين في اهوائهم . ول يكن
 اعظم مقاصده في الولاية ثلاثة خصال رضا ربها ورضا سلطانه
 ان كان فوقه سلطان ورضا صالح من يلي عليهم وما عليه ان
 يلهو عن المال والجاه والمصالح المتعلقة بهم فانه سيحصل منها
 ما يمكن على احسن الوجوه بلا جهاد في طلبه بعد رعاية هذه
 الخصال . ول يعلم ان ماعدل به من كرامته وميله الى اهل النقص
 اضر به وأعجزه عن كرامة اهل الفضل وما صرف من ماله في
 الباطل فقده عند اراده الحق وما شغل من رأيه بغير المهم أذري
 بالمهם . ومن الاخلاق التي يجب على الملك الرشيد أن يأخذ بها
 نفسه أن لا يغضب بسبب من الاسباب بل يتذمّر بالحلم
 والوقار عند هيجان الغضب ول يعلم أن الغضب مرض من
 أمراض القلب اذا ما عرض فسدت الاراء منه فان بلي به
 فلا يغى فعلا ولا ينفذ حكمه عند غضبه . وقد جاء في الاتر أن
 لا يحكم الحكيم بين اثنين وهو غضبان وقال ازدشیر بن ابيك
 ليس للشيطان في ساعة من الدهر طمع في القدرة على الملك
 أقوى منه في ساعة الغضب وأن لا يستفزه السرور والمدح

عنده ولا تعلمُ البشائر قلبه ثلاثة ينسب إلى ضعف العزيمة وصغر
 الحممة ويقرر في نفسه أن البشائر وان كثرت فهي محتقرة اذا
 قيست بكبر همتها وأضيفت إلى عظم منزلته وأن لا تكرره النوايب
 اذا ألمت ويقدم في فكره أن الحوادث اذا طرقت والنوازل
 اذا وقعت فهي سهلة في جنب صبره وشهادته فإذا طرأ منها
 حادث بان فضله على من سواه بالتحمل والصبر والمسكمة عند
 جزعه والوقار والانتاج عند استقراره وأن لا يكون من شأنه
 الفرح بالمدح والتزكية فأن قابل المدح كاذبح نفسه وأن عرف
 الناس ذلك منه كان ثلة من الشتم في عقله يقتلونه عليه منها
 وبابا من الأبواب يفتحون عليه منه وغيبة يفتاونه بها ويضحكون
 منها ول يكن حبه لل مدح هو الذي يحمله على رده فان الراد له
 مسدوح والقابل له مذموم وأن لا يحزن على فوت المحبوب
 أو فقد المطلوب فان الحزن مدهشة للعقل مقطعة لاحيالة وثمرة
 العقل أن يطرح عنه وارادت الهموم بعزم الصبر وإذا ورد
 عليه محزن يقمع الحزن بالصبر ويفزع العقل للاحتيال في تحصيل
 الفائت أو المفقودان أمكن ولا يأسف على ما فاته من الثراء

(١) فان المال شيء بالطأءور ينتقل من نشرز^(٢) الى نشر فهو عند اقباله سريع الاقبال وعند إدباره خبيث الانتقال وليس سرور محب أن يرتبط به الملائكة السرور منه رجاء بحسن معاده أما ما سوى ذلك فهو مطروح عند ذوى الالباب لأنه ليس من سرور الدنيا بشئ يؤمن عليه الآفات والغير ويها به العقل الانساني إلا استصغر الدنيا وقدره عند ما يعاين من تفتيش الآخرة ورفض ما فيها من الخداع باللذات التي لا تأمن فيها من التبعات وينبغي أن يكون للملوك في أنفسهم عبرة ليست للسوقه وهي أن يتذكروا في سرعة انقضاض دولتهم وافراط رغبتهم في الاوزار مع القدرة عليها وفيما عرفوا من قصر استمتاع من مضمون أمثالهم وكثرة التتفيص والعوارض في نعمهم ودولتهم ولهم علموا أن أخو福 الحالات لهم ماهم فيها ولا يكونوا أشد ثقة بأنفسهم وأقل ثقة بربهم اتكللا على ملوكهم وجدهم فان الاعمال جراء والامور بفتات فيكونون على حذر منها ويسارعون في

(١) الثراء طالد كمرة المال اهـ

(٢) النشرز بفتح فسكون وبفتحين المرتفع من الأرض اهـ

الخيرات فربما كانت ساعة لا تعود قال حكيم خير الملوك أشكرهم
 لله وانقاهم من محارمه وأكثرهم تعظيمها لامرها واقضاهم لحقوق
 وارائهم بالرعاية وأبعدهم نظراً في العواقب وأخوفهم من الدوائر
 وأكلهم سعادة من كثرة علمه ووفق لاعمل به وكان فرحة بما
 يستوجب من الناس الشكر ومن الله المثوبة والاجر واقبعت
 اخلاقهم الحدة وضيق الذرع وقلة الفهم وغلبة البخل والقسوة
 والفظاظة وقلة الاهتمام باسر الرعية . ويجب على الملك أن يأخذ
 للاضعيف من القوى وللفقير من الغنى بمحضهما من الحق
 ولنصيبيهما من العدل وإن يكون للفقير والضعيف أشد نظراً
 وأتم عنابة وعن أمرها أشد خصاً لأن القوى والغنى يمتنعان
 من الظلم والضييم بقوتهما أو ما في قبوره والضعف فلا يكون امتناعهما
 بسلطانهما وفوتهم بل تكون بمعونته إياهما وإن لا يغير بمزخرف
 القول ودقائق الكلام فربما حضره الظالم الجاني والمداهن الخوان
 فسلم من سطواته وحظى من عواطفه بسحر بلاغته وافصاحه
 عن حجته وربما هلك لديه الأمين الحق وأصلم البرى المظلوم
 لمثرات لسانه وعجزه عن بيان حجته فليحتاج بنفسه لمن يعجز

عن البلاغة ويقصر عن الفصاحة . وليرعلم أن سلطان ملوك الدنيا
 إنما هو على ابدان ماملكوا وعلى ما يبدوا من ظواهر امورهم
 فاما يياتهم وما يغيب عنهم من امور بواطفهم فلا سبيل لهم عليه
 لانه محجوب عنهم فلا ينبعى لهم أن يأخذوا الرعية الابعا يظهر
 لهم منهم ويتركوا التظني فان التظني يدعوا الى التهمة والتتجنى وها
 داعي ان الى اللوم والشقاء وليرعلموا أنهم لا يقدرون على ان لا ينطق
 العامة بعيوبهم ولا يتبعون فان لا يبصر الناس ما فيه من
 المعايب بل يجهدون في ان لا يكون لهم عيب ويتبعون عن شكایة
 الناس منهم فان من لم يبال بالشكایة فقد اعترف بالذلة ويزعمون
 انه ما استصلاح المستصلاح غيره الا بصلاح نفسه وما افسد
 المفسد غيره الا بفساد نفسه فان رغب الوالي في اصلاح من
 ولي عليه فليبدأ باصلاح نفسه وان أراد رفع العيوب عنهم
 فليظهر أولا نفسه منها وادا اشتبه عليه أمر ان ولم يدر أيهما
 أصوب فلينظر الى اقربهما من هواه فليخالقه فان الهوى عدو
 العقل ولا يجتمعان أبداً . وليرعلم ان من الامور ما هو حذر ومنها
 ما هو خور فان كان جبته من الامر قبل مواقعته اياه فهو حذر

وان النفس فيه ثم يهبه فهو خور ولا يدخل في امر من الامور
الابعد التأمل والتأني فان في ذلك افتتاح الرأى واتضاح الصواب
وقد قيل اصاب المتأمل او كاد وأخطأ المستعجل او كاد ولا يغرنك
المرتقى السهل اذا كان المصدر وعر أو يعلم ان اهناه الدعة ما كان
بعد احكام المهمات والله الموفق للخيرات

﴿ الفصل الثاني في آداب خدم الملوك ﴾

اعلم ان الملك لا يتحمل أحداً على غير الموافقة. وان تأكيدت
حرمته وقربت ذريته فاستشعر موافقته واتبع هواه فيما
احببت وكرهت وسلم اليه تسلیم رضاه واختيار لاتسلیم سخط
واضطرار وأخلاص له الاخلاص رهبة ورغبة فان هاتين خلطان
لا يخفيان في صاحبيها. ثم ان المنازل مشتركة عند الملك ليس أحد
أولى بمنزلة من غيره الا بلزوم الطريقة القوية والثابتة على
الاخلاق المرضية فتفقد نفسك واصبح مابطن منها باستشعار
الوقار والصبر والشکر والنصح وتجنب البغي والشره والخذلان
وتدرع السكينة والتواضع والتودد وتنظيف الشعر والبشرة
والزین بأشمل ما تقدر عليه من اللباس والمعطر بأعجن ما يمكنك

من الطيب فانا ربما رأينا العامة يكره بعضها من بعض المخالفه
في مثل هذا الباب فكيف بالملك الذي له القدرة وله أنت
يستعمل أمثالها فاذا حضرت مجلسه فقف وقوف من لا يرى ان
الجلوس من حقه لثلا يتعلق قلبك به ولا تظهر تشوقك اليه
ولا تستبعدن الملك ان شغل عنك فيه فان أمرك بالجلوس
فاجلس معتدآ من الملك ذلك نعمة لم تستحقها وكرامة لم تستوجبها
لو لا تفضله عليك بها وتطوله بما صرف اليك منها ونظر من
سرورك بذلك وشكرك عليه ما يعلم به الملك ان قد عقلت قدر
اكرامه وشكرت ما كان من إنعماته فانك ان فعلت ذلك
وأراك للزيادة أهلا ووجد لك على غيرك فضلاً . ثم الزم الصمت
ملتفاً في ردائه فان اضطررك الى النطق أمر فايلاك والتشدق
في الكلام فان ذلك ليس بأشد في الافهام وهو دليل على العي
في اللسان والقصور عن البيان بل سلم ليخبر بك وفوض الى
قريحتك فان تهيا لك مع الهوينا صواب كان أجل لقدرتك
وأجمل لفكرك . واعلم انه ليس مجلس من المجالس يجتمع فيه
من التشاجر والتحاسد مثل ما يجتمع في مجلس الملك وتنافس

الناس عنده في الحظوة والمزلة فان أعرض عنك معرض من هذه الطبقة فياك استعمال الاغلاط معه أو نقلد الانتصار لنفسك منه بل اسلك به سبيل الاحتجاج أخذًا بالرفق وجاذبه أسباب الانتصار مؤثراً للقصد . فان توجهت لك حجة فلا تشطط بها مفتخرًا ولا تعجب بها . مستكبرًا فيحرمك البغى أسباب الزيادة . وان توجهت له عليك حجة فتلتها مذعنًا وسلم لصاحبها بالخضوع ثلا يجتمع عليك لصاحبها مع عدم الاصابة قوة المؤمنين الموبخين . واعلم انه يحضر مجلس الملك أصناف من الناس ومع كل صنف منهم نوع من أنواع الادب وكل حريص على أن يكون استماع الملك منه واصفاوه اليه والملك يجب أن يجمعهم بنظره ويعهم باقباله فان جرى في المجلس شيء لك فيه حظ فاجر مع أهله فيه غير صرق ولا متسرع ولا مستنشط وان كان ذلك مما لا حظ لك فيه فلا يدعونك الحسد لاهله الى التماس صرف الملك عنهم وانتكذيب لهم فان ذلك غير زائد لك عند الملك قدرًا بل هو بضد ذلك أحق وأجدر وتحقق الشرار بحضرته . واعلم ان كل شيء يجري في مجلس الملك شيء

يلزم من يراه ويسمعه كثانه وستره خلا ما كان من مكرمة
 للملك يشيعها وحسنة يذيعها فان من حق خاصة الملك الذين
 يحضرؤن مجلسه ان يصفوه بأحسن صفاته لسرور الاولىء
 وكتب الاعداء . ثم احفظ بصرك كما تحفظ لسانك ولا تكثر
 التلتفت يميناً وشمالاً ولا تصفح الوجه متفرساً متاماً ولا
 تعرض ما في المجلس متفكها مشرها فان ذلك كله سخف وربما
 وقف بصاحبها موقفاً ينزل معه قدمه ويطول عليه ندمه ثم احفظ
 سمعك كما تحفظ بصرك فان رأيت الملك أو غيره قد اصغى
 بسر الى غيرك فلا تصفع اليه بسمعك ولا تحرض على استماع
 شيء منه فان تلك خيانة ومن خان الملك بحضوره كان فيما يغيب
 عنه اخون . ولتكن دار الملك دارك التي تصرف فيها بهمك
 وملازمتك وتعمر مكانك منها بطاعتكم ومناصحتكم فان الزمت
 نفسك بذلك فقد زخرفتها وأعددت الملاهي فيها ودعائك ذلك
 الى استئصال مكانك من دار الملك فاعلم ان مكانك في أدون
 المنازل من دار الملك أشرف قدرآ وأجل ذكرآ من مكانك
 في أعلى المنازل من غيرها . ومن عرفه الملك يحب البعد منه

والتنحي عنه شمه ومله وكان عليه أشد عنا، ول يكن من اخلاقك
 التي يعرفك الملك بها الاجتهد في الاعتدار لمن علمت از الملك
 يجب ان يجدله عذراً من زل او هفام من خدمه وان كان من
 اعدائك وترك اشهاد القرصنة عليه عند نغير الملك والمبالغة في
 الاحتجاج على من كان بخلاف هذه الحال عند الملك وان كان
 مفتاح أهل النار ويقود اليها وان الدنيا مبنية للخراب وان
 عمرك للخراب وجسدك للتراب وما جمعته للورثة فالنعيم لنغيرك
 والحساب عليك والعقاب لك واللوم لك والصاحب لك في
 القبر العمل خاسب نفسك قبل أن تحاسب والزم طاعتي واحذر
 معصيتي وارض بما أتيتك وكن من الشاكرين . ومن أذنب
 ذنباً وهو ضاحك أدخلته النار وهو بك ومن جلس باكيأ
 من خشيتي أدخلته الجنة وهو ضاحك وكم من غني يتنى الفقر
 يوم حسابه وكم من جبار أذله الموت وكم من حلو مرد الموت
 وكم من مسرور بنعمته كدرها الموت عليه وكم من فرحة اورثت
 حزناً طويلاً ولو علمت ما تعلم البهائم من الموت لا متنع من
 الا كل والشرب حتى تموت جوعاً وعطشاً . يا ابن آدم لم يقدر

عليك الا الموت وشدة لكان يجب عليك أن لا تهجم بالليل
 ولا تستقر بالنهار فكيف ما بعده مما هو أشد منه . يا ابن آدم
 اجعل سرورك بما تناه من النعيم في آخرتك ول يكن أسفوك
 على مافاترك منها وما أتاك من دنياك فلا تفرح بها وما فاتك
 منها فلا نأس عليه ولا تغتر بشبابك فكم من شاب قد سبقك
 الى الموت . يا ابن آدم من التراب خلقتك والى التراب أعيدك
 ومن التراب أبعثك مرة أخرى فودع الدنيا وتهياً للآخرة
 وأعلم أني اذا أحببت عبداً زويت الدنيا عنده واستعملته للآخرة
 وأريه عيوب الدنيا فيحذره ويعمل بعمل أهل الجنة برحمتي
 اياه وإذا أبغضت عبداً شغلته بالدنيا واستعملته بعملها فيكون
 من أهل النار فادخله النار بغضبي . يا ابن آدم كل عمرك فان وان
 طال والدنيا كفي ظلال قليلاً ثم تذهب فلا تعود اليك وأنا
 الذي خلقتك وأنا الذي رزقتك وأنا الذي أحبك . وأنا الذي
 أميتك وأنا الذي أبعثك وأنا الذي أحاسبك فان عملت خيراً
 رأيته خيراً وان عملت شراً رأيته شراً مع انك لا تملك لنفسك
 نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً . يا ابن آدم اطعني

واحدٌ ذرْ مني ولا تهُم بالرِّزق فقد كفتَكْ أمره ولا تحمل هم
 شيءٌ فقد كفيتْ أمره . كيف تحمل هم أمر لم يقدر لك ولا
 تدركه كما انك لا تأخذ ثواب عمل لم تعمله . ومن كان سبِيله الموت
 فكيف يفرح بالدنيا . ومن كان بيته القبر فكيف يسر بما يبنيه
 في دار الدنيا . يا ابن آدم رزق قليل وأنت شاكِر خير من كثير
 وأنت غير شاكِر . وخير مالك ما قدّمه وشر مالك ما خلفه في
 الدنيا فقدم لنفسك خيراً تجده عندك قبل أن يأخذك لص
 الموت بعثة ومن كان مهولاً فأنَا الذي فرجت همه ومن كان
 مستغراً فأنَا الذي اغفر له ومن كان تائباً فأنَا الذي نهيتَه ومن
 كان عارياً فأنَا الذي عريته وكسوته ومن كان خاتماً فأنَا الذي
 أؤمن خوفه . ومن كان جائعاً فأنَا الذي أشبعه وإذا كان عبدي
 على طاعتي وأمضى أمري يسرتْ أمره وشدّدتْ أزره
 وشرحْتْ صدره . يا موسى من استغنى بأموال الفقراء والآيتام
 أفترته بالدنيا وعدّته في الآخرة . ومن تجبر على الفقراء أذاته
 ومن بني بقوّة الفقراء والضعفاء بناءً عقبت بناءه الخراب وأسكنته
 النار (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى)

خاتمة الطبع

اذا كانت المطبوعات من اكبر الاسباب والبواعث على تقدم الامم وترقيها وهي الواسطة في نشر العلوم والفضائل بين الناس والوسيلة الكبرى لبث الافكار النافعة والآراء الصحيحة التي يكون من وراء تعميمها تشريف العقول وتشحذ الذهان لتحدى على جلب المصالح ودرء المضار . وهي مشخصات الامم وعنوانها والتي منها يستدل على اخلاقها وكتنه اطوارها في كل ادوارها الاجتماعية . فما لا خلاف فيه ان هبة المطبوعات بينما ترمي الى غرضين الغرض الذي يقصد به المعني الحقيقي من نشر المطبوعات في سبيل تقدم الأمة والآخر جاء تشويشاً على الأول وعقبة في طريق سيره . فالاول ذهب فريقه الى نشر الكتب العلمية النافعة التي لا يستغنى عنها بحال من الاحوال والأمة في أشد العوز والافتقار اليها فألقوا الجماعات وتعاضدوا على

نشر المطبوعات كي تستفيد الأمة منها فائدة تزرع بها إلى العادة
 التي وصلت إليها بقية الأمم الرافية والشعوب المتقدمة ولتكن
 مشخصات الأمة والدليل على كيانها في حسن سمعتها وطيب صيتها
 والآخر نزع فريقه إلى نشر المطبوعات الضارة بالأمة
 المفسدة لا خلاقها فمن كتب تنشر محسوبة بالخرافات والباطيل
 التي لا يقصد بنشرها سوى رواج تلك السلم البايرة في سوق
 يجب أن تطهر من تلك الادران وهاتيك المخزيات . والله بعلم
 ان أولئك الذين ينشرون مثل تلك المطبوعات علموا مشرب
 السواد الأعظم من الأمة فقدوها اليه على خلو الفؤاد من
 أنواع المأمور والمعارف وتجربة من جميع أساليب الحكمة
 والصواب فصادفت قلباً خالياً فتمكنت : وقد يتذرع الآن قلم
 تلك الجذور من اعمق هاتيك القلوب التي أفقها ومالت إليها
 على اعتبار أنها من المسليات أو المضحكات لارباب الكسل
 وذوى البطالات . ولو انهم فعلوا ماينفعون به اكان خيراً لهم
 ويا لهم وقفوا عند هذا الحد من نشر المجنون والمهدىان
 بل تجاوزوه الى ما هو أشد ضرراً واعظم نكلاً فقد استطاعوا

على الاعراض ونالو من الحرمات بنشر الاهاجي الشائنة والمذموم
المهينة وهم بذلك لا يخطون قدرًا ولا يخفرون عاليًا بل ان
ما ينشرونه هم أولى به واحق

مقالة السوء الى اهلها أسرع من منحدر سائل
ولكنهم يعلمون الناس خلقاً ذمياً وينجذبون على الآداب
أى جنائية . ولو كانت تلك المطاعن مما يستحقه البعض جزاء
قصصيرهم عن فعل الواجب وقعودهم عن الفضل لمان الامر
ولكن ما ذنب من تأثره تلك المذموم على غير جرم ارتكبه
فمن نابع عن يحول بين الامة وبين تلك الحرية حرية المطبوعات حتى
لا تكون السفاسف . شخصياتنا وحتى يستعراض عنها بالنافع
واذا كانت معدنة هؤلاء في نشراتهم ما يشاهدونه في
البعض من الاخلاق الفاسدة ويريدون بذلك اصلاح اخلاقهم
وتطهير اعرافهم فان النجس لا يظهر بالنجس . والاخلاق لا تقوم
بهجو القول وانما تصلحها العبارات الرائقة والمعاني الرقيقة من
الحكمة والعظة على حسب ما يقتضيه المقام وتستدعيه ضرورة
التخاطب في مراتب البلاغة . اذا لم يكن عن التأنيب . ندوحة

غليكن كقول الشاعر العربي

لو كنت من مازن لم تستبع ابلي
 ينو الاقيطة من ذهل ابن شيبانا
 إذا لقام بنصرى عشر خشن
 عند الحقيقة ان ذولة لانا
 قوم اذا الشرأبدى ناجذيه لهم
 هموا اليه زرافات وواحدانا
 يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة
 ومن اساءة اهل السوء احسانا
 أما رجالي وان كانوا ذوى عدد
 ليسو امن الشر في شيء وان هنا
 كان ربك لم يخلقك لخشته سوا هموا من جميع الناس انسانا
 فاذظر الى هذا القول الذي ياغ منهى البلاغة من التبكيت
 والتعييف موشدة التأثير في نفس السامع وهو مع ذلك مجرد
 عن كل لفظ يمجده السمع عارِّعما يوصله الى درجة الهجاء مع
 أنه في منتهاه فاللهم وفق الجميع الى حسن القول والعمل واجعلنا
 من عبادك الذين يستمعون الفول فيتبعون أحسناته انك على

صانته قاسمه

(عبد العليم صالح)

المحامي

